Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

توفيق الحكيم

عهد الشيطان

الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة
مطبعة التوكل بالجماميز
١٩٤٢

توفيق الحكيم

عهد الشيطان

الطبعة الثانية

الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة
مطبعة التوكل بالجماميز
١٩٤٢

893.7H121
03

18523F

كتب توفيق الحكيم

التى نشرت فى اللغة العربية

محمد	(الطبعة الاولى : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية : مطبعة المعارف عام ١٩٣٦)
شهرزاد	(مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)
أهل الكهف	الطبعة الاولى : مطبعة مصر عام ١٩٣٣ الطبعة الثانية : مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٤ الطبعة الثالثة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ٩٤٠
عودة الروح فى جزئين	(مطبعة الرغائب عام ١٩٣٣)
أهل الفن	(مطبعة دار الهلال عام ١٩٤٠)
مسرحيات توفيق الحكيم	المجلد الاول . ويشمل قصص . سر المنتحرة ، نهر الجنون ، رصاصة فى القلب ، جنسنا اللطيف . (مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)
القصر المسحور	بالاشتراك مع الدكتور طه حسين بك : (مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التى نشرت بالعربية

مسرحيات توفيق الحكيم	المجلد الثانى . ويشمل قصص . الخروج من الجنة ، أمام شباك التذاكر ، الزمار ، حياة تحطمت . (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)
يوميات نائب فى الأرياف	الطبعة الاولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧ الطبعة الثانية مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر عام ١٩٣٨
عصفور من الشرق	الطبعة الاولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ الطبعة الثانية مطبعة التوكل عام ١٩٤١
تحت شمس الفكر	الطبعة الاولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ الطبعة الثانية مطبعة التوكل عام ١٩٤١
تاريخ حياة معدة	مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التى نشرت بالعربية

عهد الشيطان
الطبعه الاولى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨
الطبعة الثانية
مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

براكسا أو مشكلة الحكم
مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

راقصة المعبد : مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

نشيد الأنشاد : مطبعة مصر عام ١٩٤٠

حمار الحكيم :
الطبعة الاولى : مطبعة التوكل عام ١٩٤٠
الطبعة الثانية : مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التى نشرت بالعربية

سلطان الظلام : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

من البرج العاجى : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

تحت المصباح الاخضر } مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

بجماليون : مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

كتب توفيق الحكيم

التى نشرت فى لغة اجنبية

شهر زاد — ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج ليكونت عضو الاكاديمية الفرنسية

عودة الروح — ترجم ونشر بالروسية فى لينتجراد عام ١٩٣٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧

يوميات نائب فى الأرياف — ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور حافظ عفيفى باشا

أهل الكهف — ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت مدير دار الآثار العربية

عصفور من الشرق — ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١

— ياشيطان الفن ! لقد منحتك كل شيء .

كل قطرة من قطرات دمي هي لك .

وكل خلجة من خلجات نفسي هي لك .

فإذا ظفرت بساعة من ساعات الهناء فهي لك .

وإذا نمت فأنت ملك على عرش أحلامي

وإذا أفقت فأنت المالك لزمام أيامي .

شيطاني لا يذهب عني في أي زمان ولا أي مكان .

انك لا تتركني الا وقد صرعني المرض

ولم يبق في رأسي الكليل ولا جسمي النحيل شيء تأخذه .

فإذا فتحت بعد ذلك عيني قليلا وبدرت بادرة يقظة

فهي أيضا لك .

ياشيطان الفن ! لقد أخذت مني كل شيء .

فماذا أعطيتني أنت ؟!

— أعطيتك لذة « الخلق » . . !

تلك اللذة التي لا يعرفها غير الله ! . . .

عهد الشيطان

وقع ذلك الحدث الذى أرويه فى ليلة من ليالى الشتاء فى منتصف الليل . . فى تلك الساعة الرهيبة التى أجمعت الأساطير على أن فيها يحدث كل جلل من الامر . وكنت جالساً إلى مكتبى أقرأ تحت نور ضئيل . وقد تكدست أمامى كتب يعلوها التراب . وكان الكتاب المفتوح بين يدى قصة « فوست » ، وكنت قد بلغت منها تلك الصفحات التى يجلس فيها العالم الشيخ بين كتبه فى إحدى الليالى وقد تهدل شعره الأبيض على منكبيه وهو قانط من العلم ، راغب عن الحياة التى لم تمنحه من المعرفة ما كان يحسب أن فى

مقدورها أن تعطيه البشر . وقد جلس يحصى على نفسه تلك الثمانين من الأعوام التى عاشها . ماذا صنع فيها ؟ وماذا ربح ؟ إنه لم يعرف الشباب قط . ولم يدخل قلبه ذلك الفرح بالحياة قط . ولم تدرك نفسه معنى الطمأنينة والابتسام . حتى فى ذلك الزمن الجميل يوم كان خلانه يقولون « الحب » كان هو يقول « المعرفة » ولقد جد حقيقة فى سبيلها وأحاط بكل ماسمح لعقل إنسان أن يحيط به . لقد أعطى العلم كل حياته . والآن وقد أوشكت تلك الحياة أن تذهب . الآن وهو فى طريق الأوبة إلى ذلك المكان المجهول الذى جاء منه . (لو أن فى الامكان أن نسميه مكاناً !) ألا تراه عائداً إليه بصفقة المغبون ؟ ! أما العلم فانه الآن يسخر منه بقدر ما يسخر هو من نفسه ، إذ أضاع من أجله حياة

كاملة فيها أشياء كثيرة غير العلم . إنه خارج من الحياة ولم يحمل زهرة ولم يستنشق عبيراً من ذلك البستان الفاتن بأشجاره وأنهاره وورود وغزلانه . إنه لم يملأ قلبه بشيء . وإنما قد ملأ رأسه بكلام كثير سوف يأكله الدود ، كما قال « هاينى » مع ماسوف يأكل من لحم تلك الجمجمة الكبيرة . .

كل هذه الخواطر كانت تدور فى خلد العالم « فوست » وهو جالس أمام كتاب فى علم الفلك تحت نور ضئيل فى حجرة كالقبو من حجرات القرون الوسطى . ولم يكن حوله غير كتب مكدسة يعلوها التراب وغير سكون مطبق مخيف . ولم يكن بالمكان أحد . ومع ذلك فقد سرب فى جسم العالم المتهدم رعدة . إذ شعر أنه ليس وحده فى المكان . فتردد

قليلا ثم استدار بعينيه المنطفئتين . يبحث فى أركان الحجرة ، فلم يجد أحداً غير ظلال نور المصباح تتلاحق فوق الحائط القاتم كالأشباح اللاعبة . فتملكه خوف لم يدر سببه . . . ووضع وجهه فى كتابه يحاول القراءة ويلتمس فيها هدوء الخاطر . وإذا صوتٍ هامس يلقى فى أذنه :

— فوست ! فوست ! لقد سمعت ما دار فى نفسك !

فجمد الدم فى عروق الشيخ ، واستطرد الصوت :

— لاتخف . ألا تعرف من أنا ؟

لم يحر العالم جوابا ولم يجرؤ على الحركة وظل فى جلسته كتمثال من الشمع .

فاستأنف الصوت :

— أنا الذى يستطيع أن يمنحك ماتطلب . . .

هنا دبت القوة فى نفس الشيخ ، وزال عنه الخوف والتفت إلى مكان الصوت فأبصر وجها غريب السحنة لايشبه وجوه البشر ، يبسم له ابتسامة عجيبة . ولم يجد لهذا الوجه جسما ، فقد كان محاطا بالظلام . وتمالك الشيخ وتحامل ثم قال فى صوت واجف :

— من أنت ؟

فنظر إليه الوجه نظرة ثانية وأجاب :

— وهل يعنيك كثيراً أن تعرف من أنا ؟

— من أنت ؟

— دائما تريد أن تعرف . دائما حب المعرفة ! . . أيها الأحمق الفانى ! . . أما يكفيك أنى أعطيك ما تطلب ؟ كل ماتطلب ؟

— من أنت ؟

— الشيطان .

دهش العالم ونظر إلى الوجه من جديد ، فألقاه يبسم تلك الابتسامة التى لاتتغير . فردد فى بطء ، وهمس كأنما يخاطب نفسه :

— الشيطان . .

ودنا الوجه قليلا من الشيخ وقال فى نبرة لطيفة

— أتخافنى ؟

— الشيطان . . .

— لاتخف ، انتظر .

وفى الحال أبصر الشيخ ذراعين وقدمين وبقايا جسم آدمى تأتى طائرة طائعة من أنحاء الحجرة المختلفة وتلتصق بالوجه حتى صار إنسانا ، وتغير الوجه فصار

كوجوه البشر ، ومـد ذلك الانسان يده إلى كرسى بجانب الشيخ ، وجلس وهو يقول كالمخاطب لنفسه : « ها أنذا إنسان مثلك ، ينبغى أن أكون إنسانا مثلك حتى تفهمنى ، إنك أيها الانسان لاترى إلا من كان على صورتك : إنى فى خدمتك » .

هدأ روع العالم قليلا ، وتذكر ما كان فيه منذ لحظة من ضيق بنفسه ، وتبرم بحياته ، فاهتز فى مقعده وصاح :

— أيها الشيطان ، أعطنى . . أعطنى . .

— اطلب ماشئت .

— الشباب .

لفظها الشيخ الفانى من أعماق قلبه المتداعى...

فأجاب الشيطان فى تؤدة :

— لك ماطلبت . ولـكن . . . ما تعطينى أنت فى مقابل هذا ؟ إن الشيطان لايعطى لوجه الله !

فقال الشيخ من فوره :

— أعطيك العلم . . كل ذلك العلم الذى اكتنزته مدى ثمانين عاماً .

فقهقه الشيطان :

— لاحاجة بى إلى هذه البضاعة ، علمك لاينفعنى . إنى أريد منك شيئاً آخر .

— ماذا ؟

— نفسك .

فلم يتردد الشيخ :

— هى لك .

عندئذ أسرع الشيطان ومـد يده فى الهواء والتقط

قرطاسا نشره تحت المصباح وتناول ذراع الشيخ ، ففزع الشيخ:

— ماذا تصنع ؟

— لاتفزع من شيء أريد قليلا من دمـــك تـكتب لى به صكا على هـذا القرطاس . هو عهد بينى وبينك : أعطيك الشباب وتعطينى نفسك . . .

فأذعن الشيخ وكتب العهد بدمه وتناول الشيطان العهد المكتوب ، ورفع يده فى الهواء ، وعاد فوضعها على جسم الشيخ ، فاذا شيخوخته تزول عنه كما تزول الأوراق الذابلة عن الشجرة الفتيـة . وإذا العالم الهـــرم قد أنقلب فتى فى العشرين جميل الطلعة بسام المحيا ، مفعم النفس بالسرور ، متوثب القـلب للحب . . .

* * *

لم أكد أنتهى إلى هذا الموقف من قصة «فوست» حتى طرحت الكتاب وهمت فى وادى التأملات . . . كان الذى يملك علىّ لبى فى ذلك الوقت هو حب « المعرفة » . كانت كل أحلامى أن أفتح فى كل صباح نافذة تطل على عالم مجهول من عوالم هذا الكون السابح فى بحار الأسرار . كان من يكشف لعينى المستطلعة جديداً هو الخليق عندى أن أعطيه ماشاء من نفسى . فى تلك الليلة صحة فى الحجرة :

— أيها الشيطان ! أيها الشيطان ! أبرز إلىّ وخذ منى ماتشاء وأعطنى ماأريد.

ولم يبرز إلىّ بالطبع أحد . ولم تنشق الجدران ولم تكن الصيحة التى لفظتها إلا صوتا مدوياً داخل نفسى،

وهو فى الحقيقة همسة لم يبلغ صداها باب الحجرة ؛ على أننى لم ألبث أن رحت فى شبه إغفاءة . نصب فيها الخيال مسرحاً ، وإذا الشيطان فى ملابس « مفستو » الحمراء ، ويده على مقبض سيفه ، والابتسامة الخبيثة الساخرة على شفتيه وهو ينظر إلى قائلا .

— أناديتنى ؟

فهمست :

— نعم .

— ماذا تريدمنى ؟

— المعرفة.

فضحك ضحكه عالية طويلة ، أهتزت لها الريشة القائمة على قرنه .

— هل تدرك مدى هذه الكلمة ؟

ففطنت إلى مراده وصحت مستدركا .

— نعم . نعم . أدرك أنك أنت كذلك لاتحيط علماً بمدى هذه الكلمة . إنى ما أردت منك المستحيل . وما قصدت أن تعطينى « المعرفة » ذاتها . إنما أردت أن تمنحنى « حب المعرفة » . أريد أن تمنحنى تلك النفس التى تعيش للمعرفة . أريد أن تعطينى ما أخذت من « فوست » . أعطنى « نفس » فوست التى أخذتها منه . أريد أن تكون لى نفس « فوست » أو نفس « جوته » !

— وماذا تعطينى أنت فى مقابل هذا ؟

— كل ماتطلب .

— الشباب .

— هو لك .

قلتها فى غير تردد . فنظر إلىَّ « مفستو » نظرة طويلة . نظرة العجب أو الاشفاق ـ لو أن الشيطان يشفق أحياناً ـ أو نظرة التاجر الماكر لصفقة خاسرة وقعت من غر قاصر . وقال :

— سوف تندم .

— أبداً .

— أفهم أن يبذل كل غالٍ فى سبيل « الشباب » . أما أن « الشباب » هو الذى يبذل ... اسمع نصحى أيها الفتى إنى لم أعتد إخلاص النصح لأحد . ولكنى أقول لك : لاشىء فى الوجود يعوض الشباب !

— المعرفة ، المعرفة ، المعرفة .

فضحك الشيطان ضحكة صغيرة هازئة ، وقال كالمخاطب لنفسه :

— كان فوست يقول ذلك أيضاً فى صباه !

فقلت فى تحمس أعمى

— حب المعرفة هو شباب العقل ، هو الشباب الابدى ، هو السمو الانسانى الذى سجدت له الملائكة إلا أنت ، أيها المتطاول على عرش فكرنا النورانى !

— عرش فكركم النورانى ! ماذا أقول لهذا الفتى؟

— إنى أعرفك وأبغضك ، إنك هنا على هذه الأرض لاعمل لك إلا أن تطفىء هذه المصابيح العظيمة التى تزين هاماتنا ، إن فى يدك عصاً طويلة كتلك التى كان يحملها « عفاريت الليل » يطفئون بها فى مطلع الفجر مصابيح الغاز فى الطرقات .

— ماأسخف مصابيح الغاز !

— نعم ، ولقد ذهب عهدها بظهور الكهرباء ،

واختفت معها « عفاريت الليل » بعصيها . أنت أيضاً قد آن لك اليوم أن تختفى بسيفك وريشتك ، فما من أحد يرضى اليوم أن يبيع « مصباحه » من أجل شىء .

— لقد باع « فوست » مصباحه من أجل فتاة .

— كان ذلك مصباحا من الغاز .

— من الغاز أو من الكهرباء، النور هو دائما النور!

— ياعدو النور . اعطنى النور وخذ منى ماتشاء .

فقال الشيطان :

— O . K .

وخلع قلنسوته ومسح بها الأرض بين يدى إغراقا فى التحية على طريقة فرسان اسكندر دوماس ، وتحرك للانصراف ، فاستوقفته :

— ألا نكتب عقداً ؟

— لاضرورة منك للعقود والعهود . إنى واثق بشرفك .

— ولكنى أنا . . معذرة .. إنى لا أثق بشرفك .

— جربنى هذه المرة .

وانحنى لى انحناءة كبيرة ثم اختفى .

* * *

مضى علي تلك الليلة ثلاثة عشر عاما التهمت فيها الكتب التهاما وأحطت بمختلف العلوم والفنون علما وعشت مع الفلاسفة والأدباء والموسيقيين والمصورين وأحببت فيها « المعرفة » حباً كالجنون . فلم أكن أطيق صبراً على جهل فرع من فروعها . وكنت أحياناً لا أملك من النقود غير الضرورى لأكلى بقية الشهر وأصادف فى واجهة الحانوت كتابا أو

كتابين ، فما أحجم ، وأدفع فيهما ما معى ، وأتبلغ طول أيامى بمرق الأرز ونقيع الشاى . وذهب بى الجنون إلى حد الرغبة فى الاطلاع على ما لا لزوم لاطلاع أديب عليه . فنظرت فى كتب الفلك والعلوم الروحانية والرياضيات العليا . وكانت أيام راحتى تنفق فى هياكل الفن ومتاحف التاريخ الطبيعى ودور الكتب والآثار . وكانت لى جلسات طويلة فى ركن قهوة صغيرة منفردة آوى إليها وحيداً أفكر ست أو سبع ساعات متتالية فى مسائل عويصة من مسائل الفلسفة المطلقة ، أو قضايا الفكر ، أو مشاكل العالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولكم هدمت فى رأسى مدنيات وأقمت بدلها حضارات خيالية ذات نظم مثالية على نحو ما فعل أفلاطون

وتوماس مور . ولكم ألحدت ثم آمنت وضللت ثم اهتديت . ولكم كتبت ومزقت . ولكم جهدت فى سبيل تلك اللذة العليا التى حسبتها غاية الانسان التى ليست بعدها غاية . ولقد هممت بالنور وعشت حول النور حتى أحسست أن جسمى يرق وأن لنفسى أجنحة كأجنحة الفراش . ولقد صرت كالهوء أو كالملائكة أسهر الليل سابحاً فى أجواء الفكر فوق كتاب مفتوح تحت مصباح مضىء ، حتى إذا جاء الصباح رقدت وهربت من الناس والضجيج . إلى أن نبهتنى آخر الأمر خادم عجوز قائلة :

— حياتك هذه ليست حياة . انظر إلى وجهك فى المرآة !

فنظرت مليا فى مرآة خزانة الملابس فارتعت .

ما كل هذه التجاعيد حول عينى . وما هذا الظهر الذى تقوس وانحنى . وما هذا النحول وهذا الشحوب . . أترانى قد نسيت جسمى طول هذه الأعوام ؟ أم تراه الشيطان قد تقضى الثمن دون أن أعلم ؟ وهالنى منظرى وأنا أضع إصبعى على تلك الخطوط المخيفة على صفحة وجهى كأنها صك بزوال زهرة الحياة إلى الأبد ، فما تمالكت أن صحت :

— الشباب . الشباب . لقد أخذ الشباب !

فى النوم

CODE NO.	ORDER NO.	ACQUISITIONS DEPARTMENT COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES 535 WEST 114th ST. - NEW YORK 27, N. Y.	L. C. CARD NO.
136	18523 F		

O. L.

Hakim, Taufiq
'Ahd al-shaitan. Cairo, 1942. 119p.

AUG 16 1957

DEALER	
Senoubi	

RECOMMENDED BY	UNIT LIST PRICE	DATE ORDERED
M. Bravmann	25 Piast	12.10.56

$

TITLE NOTED ABOVE HAS BEEN ADDED TO LIBRARY

RIDER COPY

إذا جن الليل ، ورقد الناس ، وسكنت الكائنات ، قام هو فى خفة الطائر ، ورقة النسيم ، ينسج قصصه العجيبة بأنامل لا يعرف وصفها إنسان . ذلك هو الحلم . فنان حاذق يأتى أحيانا بالمعجزات فى رؤوس النائمين .

وهو ككل فنان محترف كتب عليه الانتاج فى كل ليلة ، لا يبرأ من الأسفاف ، ولا يستطيع أن يجيد فى كل حين . فهو لا يخرج دائما فى كل الرؤوس آيات متناسقة البناء شيقة الحوادث مستقيمة التفكير . إنه هو أيضا ضحية « الروتين » الذى يقتل الفنانين . لكنه إذا أبدع أوحى . وإنى لأعرف كتابا يستلهمون الحلم . وإنى

لأذكر خبر كاتب روسى أو مجرى كان يأكل قبل النوم حتى الكظة طالباً التخمة راغباً فى الكابوس يصور له من الحوادث المخيفة ماينفعه فى استنباط قصه . أما أنا فأبغض الكابوس ولا أريده ، ولو ألهمنى خير القصص فان لحظة أقضيها فى جوه الخانق لأشق على نفسى من الجحيم . غير أنى لا أنسى رؤيا منسجمة الفكرة متصلة الخيوط . رأيتها ذات ليلة . فاستطاعت أن تشغل بالى فى الصباح ، وأن تقبضنى على القلم ، وأن تستكتبنى هذه السطور :

رأيت أنى معها فى حجرة واحدة . أما هى فغادة حسناء . ذلك النوع من الحسن الذى أحبه . وليست أدرى كيف عرف الحلم ذوقى فاختار لى مثل هذه المرأة ! جلسنا معاً وهى فى ثوب أخضر خفيف . وكأن بيننا

حباً قديماً ، والحلم خير من يلعب بالزمن كما يلعب المصور بالألوان . فلم نكن تعيش ، أنا وهى ، إلا فى ثوان . لكنها كالأعوام . لها ماض وذكريات . يحيط بنا إطار مصنوع من جوهر لا أدرى ماهو ، لعله ما يسمونه « السعادة » . وفجأة ، طرق علينا الباب ، وظهرت خادم تعلن فى صوت خافت أن زوج الفاتنة قادم . هرج واضطراب وقعا فى الحجرة : فقفزت أنا من مكانى أبحث عن حذائى . ونهضت هى فى سرعة الريح إلى المرآة تصلح من شأنها . وتملكنى الوهم وحرج الموقف فعجزت عن إدخال قدمى فى الحذاء ، ورأت هى ما أنا فيه . فصاحت بى :

— عجل بالخروج !

— لا أحب إلى نفسى الآن من الخروج سالما . لكن الحذاء . . .

— ألا تريد أن تنصرف ؟

— حافيا ؟ هذا لا يجوز . وهل أنت ترضين لى الخروج على هذه الحال ؟

فلم تجب وجذبتنى من ثيابى ، ودفعتنى إلى الباب ، فخرجت أحمل حذائى فى يدى وإذا أنا — وجها لوجه — أمام رجل وسيم الطلعة أنيق الهيئة حيانى باسما فارتجفت ونظرت إلى عينيه ، فلم أر فيهما غضبا ولا سخرية . وأشار لى فى كياسة أن أضع الحذاء فى قدمى على مهل . فقلت متلعثم اللسان :

— أشكرك ياسيدى على هذا اللطف . . .

وحاولت أن أفعل ما أراد فلم أستطع ، فلقد حرن الحذاء مرة أخرى ، وإبى أن يلين لتوسلاتى الحارة ولعرقى المتصبب فى هذا الظرف المؤلم . وخرجت

« الحسناء » زاهية كالقمر ، فما إن رأت الرجل ، والرجل رآها . حتى وقع أحدهما فى أحضان الآخر ، وقبلات . .

وشعرت فى أعماق نفسى وقتئذ أنى لا أصلح للبس الحذاء ولا للانصراف ، ولا لصنع شىء فى هذا الوجود !

فجلست القرفصاء أنظر وأسمع ولا أدرى لى مصيراً .

وفرغا من القبل ولكنهما ظلا متعانقين وهى تقول له :

— أهذا شغفك بى ؟ ! مضى عام دون أن أسمع عنك خبراً ! ...

— ألا تعرفين ما حدث ؟ لقد أمسينا من أصحاب الملايين .

— ملايين ؟ ! كيف ؟ كيف ؟ أخبرنى ! ...

— أنا الآن « مليونير » .

— أتقول حقا ؟ وافرحتاه ! . تعال فقص علىَّ كل

ماحدث منذ أن تركتنى وسافرت إلى تلك البلاد النائيه!

وتناولت يده ، تقوده إلى الحجرة ، فعثرت قدمها الصغيرة بشخصى الحقير ، ولم يزل موضوعا إلى جانب الحذاء . لكن أى حذاء . إنى فيلسوف . كما أن هذا الرجل المحترم ، زوجا كان أو غير زوج ، فيلسوف هو أيضا فيما يبدو لى . ذلك أنى لم أكد أسمع أن الرجل صاحب ملايين حتى أدركت أن لامحل الساعة للبكاء على حب ! ورنت فى أذنى تلك اللحظة كلمة هائلة ضاحكة : « الذهب » ! كما رنت ولا ريب فى قلب الحسناء فنسيت كل شىء . وصرت فى نظرها ، أنا وحذائى على عتبة الباب ، كائنين متساويين ! نسيت كل شىء وشيكا لأن « الذهب » كلمة جليلة عظيمة . لها صوت مدو مهيب كصوت حوافر جياد مطهمة على أرض من الرخام

الأصفر . . . كلمة كالدخان السحرى ترى خلالها القصور والعروض والحلى والتيجان ! ونسيت أنا أيضا كل شىء كان ويكون . حتى ما أنا فيه من ذل وتعس . كما نسيت أن أنهض من الأرض وأن أرفع يدى عن حذائى الذى لم يوضع فى قدمى ولن يوضع . ومرا بى هذان السعيدان . فى حرص واحتياط حتى لا يعثرا بى فى طريقهما إلى الحجرة . فقلت فى أدب وإخلاص :

— دوسا ، لامانع عندى مطلقا من أن تدوسا ! واستحوزت على مشاعر غريبة . لست أعلم لهـــا إسما بين مشاعر الناس . فلم ألبث ان تقدمت نحو الرجل وقلت له فى احترام عميق :

— لقـد اشرق النور فى هـذا البيت مذ حللتم به . وإن سيدتى كانت شديدة القلق كثيرة الهم لغيبتـكم الطويلة حتى اسعدها الله اخيراً بأوبتكم الظافرة الميمونة

فالتفت إلى الرجل فى استغراب خفيف ولكن الدهشة كلها كانت دهشة المرأة . ولم امهلها حتى تفيق . فوجهت إليها من فورى الخطاب :

— اما كنت ياسيدتى تذكرينه دائما فى شوق ولوعة ؟ ها هو ذا قد عاد ولاينقصكما الآن إلا خلوة تتبادلان فيها رقيق العتاب ، حتى تصفو القلوب ويتصل بينكما ما انقطع بطول الفراق .

وانتظرت ان احظى منهما بجواب . فلم ألق إلا سكوتا بارداً ونظرات فاترة . وتحركا آخر الأمر نحو الحجرة ودخلاها واغلقا عليهما من دونى الباب . وانا واقف جامد . وكأنى لا أعيش . وثبت الى نفسى قليلا . فاذا عرق يسيل من كل بدنى . لماذا صنعت هذا وقلت هذا ؟ وهل سألنى واحد منهما أن اكون لهما

رسول سلام ؟ وهل هما فى حاجة إلى ، حتى يدخل قلبهما الصفاء ؟ ومن قال إنهما كانا غاضبين ؟ إنهما الآن مثل كل متحابين مؤتلفين لايطلبان إلى احد ان يمشى بينهما بخير أو بشر . ينبغى ان افهم الآن انى قد طردت من الفردوس حافى القدمين . .

انتهى الحلم من تأليف قصته ، وسكت عن الكلام المباح وقد ادركه الصباح . واستيقظت فوجدت انى حقيقة عارى الأقدام وقد سقط اللحاف عنى . ولكن ستار النسيان لم يسدل فى رأسى على الرواية . فقد تركت فى نفسى أثراً عميقا . وطفقت اقول : « حتى الحلم ، ذلك الفنان البارع ، لايملك لمثلى من ذلك الجوهر الطيار الذى يقال له : « السعادة » غير مقدار قليل لايشفى العليل » ! . . .

«راديوم» السعادة

استعرضت فى رأسى البارحة شريطا ذا ألوان من ذكريات الماضى . أما الألوان فكانت خضرة داكنة لأشجار الزيزفون والكستناء المحيطة بذلك الوكر الجميل المسمى « أورياج » ، ألقته يد الطبيعة فى بطن واد سحيق من وديان « الألب » ، ليذكر البشر بالفردوس المفقود .

ولقد هبطت هذه الجنة فى شهر اغسطس عام ١٩٣٨ أحمل حقيبة واحدة ، فيها « بذلة » واحدة وكتاب واحد : هو « العقد الفريد » لابن عبد ربه بكامل أجزائه.

ولم تكن الحقيبة تتسع لغير هذا الثوب وهذا

الكتاب ، ولم يكن شيء أبغض إلى نفسي في الأسفار من كثرة الحقائب ، فطال ترددي وأنا أتجهز للسفر : أأحمل « بذلة » أخرى وأترك « ابن عبد ربه » ؟ واستقر عزمي آخر الأمر على إشارة « الزميل » أعبر به البحار والجبال ، واصطحبه إلى بلاد لم تطأها قدمه ، وأريه مناظر لم ترها عينه ؛ فللأديب على الأديب حق . وليس من الوفاء حرمان ابن عبد ربه مثلا هذه النزهة . فنبذت الثياب وأخذت الأديب ، وانطلقنا . . . .

* * *

بلغنا جنة « أورياج » ، ونزلنا فندق « الروض » وهو بناء جميل أقيم على بساط من العشب ، قد اضطجعت عليه حور من الفرنسيات يتحدثن في ظل

الأغصان المدلاة إلى ولدان وفتيان ، أو يصغين إلى أنغام موسيقى يحملها النسيم ، تعزفها فرقة فى شبه ميدان وسط المصيف .

وكانت مائدة طعامى بالفنـــــدق فى طرف ناء ، فلقد احتل من نزل قبلى الأفاريز المشرفة على المناظر الرائعة ، ولكنى لم أحرم مع ذلك منظر مائدة إلى جوارى جلس إليها فتى وفتاة ، قيل لى إنهما تزوجا حديثا .

لقد كانا زهرتين ناضرتين فى باقة « فندق الروض » . وكنت أنا دائما وحدى ، ليس معى من رفيق غير « ابن عبد ربه » وقد وضعته أمامى فوق المائدة إلى جانب زجاجة « الفيشى » .

نعم ، لم يكن يخطر لى على بال أن هذا الأديب

يلازمنى على هذا النحو فى كل مكان . لقد اعتدت ملازمته كما اعتدت من قبل ملازمة عصاى .

فأنا لا أخرخ من الفندق فى الصباح ، ولا أعود فى المساء ، ولا أذهب إلى قهوة ولا إلى ملهى إلا ومعى « ابن عبد ربه » . حقيقة أن فى جوف هذا الأديب كثيرا من طلى الحديث ، وهو خير أنيس وجليس فى مثل وحدتى وعزلتى .

ولكن . . . أما كتب لى أن أظفر بجليس أجمل منه سحنة وأعذب منه صوتاً ؟ لقد كنت أتأمل من طرف خفى هذين الزوجين السعيدين ، فيخيل إلى أنى أرى منهما أشياء . إنهما لايتحادثان كثيراً ، وكل منهما يأكل وهو مطرق ، ولقد لحظت أن الزوج مايكاد يفرغ من أمر طعامه حتى

يترك امرأته ويختفى اختفاءة لايظهر بعدها إلا على مائدة الوجبة التالية . وكان الذى يشغل فكرى وقتئذ البحث عن « قهوة » هادئة أجعلها مقراً لى وللأديب الذى معى وللورق الذى فى جيبى . فأنا لا مطمع لى فى رياضة شاقة كتسلق الجبال . ولا رياضة هادئة كلعب « التنيس » . وليس فى الناحية جدول قريب أصطاد منه السمك ، وهى رياضتى الوحيدة التى أحذقها . . . (أستغفر الله على كلمة « أحذقها » وهو الشاهد العدل على مبلغ حذقى إياها !) . وعثرت آخر الأمر عند أقدام أشجار باسقة قد تهدلت أغصانها كجدائل الشعر الكثيف ، على « قهوة » صغيرة فى شبه كوخ

من خشب نثرت حوله المقاعد والموائد . فقلت فى نفسى : ها هنا مكانى . فاتخذت مقعداً فوق العشب ، والتفت أطلب الساقى يحضر إلى فنجانا من الشاى . فاذا أنا أمام ساقيه كالبدر . وإذا أخرى على باب الكوخ كالشمس . وإذا ثالثة وهى الصغرى تخطر فى خفة الغزال بين الموائد ، ناثرة قطرات اللطف والظرف ، فى صورة ابتسامات ساحرات ، ذات اليمين وذات الشمال . إذا قلت إنى فى حياتى لم أر أظرف من هذه الفتاة ما كذبت ، وإذا أقسمت أن هذه الفتاة ماخلقت إلا لتتلقى نظرات الاعجاب من الناس لما حنثت . الدليل تلك الأعين التى ترمقها من كل جانب ، وتلك الأفواه التى تناديها من كل مائدة . كان اسمها « فرانسواز » .

وفرغت من دهشتى قليلا فأجلست ابن عبد ربه على مقعد خال بجوارى ، وأردت أن أشير إلى الفتاة لأطلب فنجان الشاى ، وإذا غيرى يسبقنى :

— فرانسواز ! كأساً من البيرة .

فانتظرت لحظة . ثم هممت بندائها . وإذا صوت آخر :

— فرانسواز ! كوباً من شراب البرتقال !

فسكت مرغماً . ثم عاودنى الأمل فرفعت رأسى إليها وإذا صيحة :

— فرانسواز ! فرانسواز !

فالتفت فاذا ذلك الزوج الشاب الذى يهجر زوجته فى الفندق بعد كل طعام ، قد جاء فى شبه ركض وجلس إلى مائدة قرب مكان الفتاة ، وطفق

يحدثها حديثاً ازدحم به فمه ، وهى تضحك أحياناً ضحكاً رقيقاً يتمايل له غصنها الرشيق ، وأشرقت السعادة فى وجه الشاب ، وإذا صفاؤه قد عكره صوت فتيان آتين بملابس « التنيس » يصيحون قبل أن يجلسوا :

— فرانسواز ! فرانسواز !

فالتفتت إليهم الفتاة وابتسمت . ثم استأذنت محدثها وانطلقت إليهم . فاستقبلوها فى شبه هتاف وظلوا لحظة يتضاحكون . هؤلاء فيما يخيل إلىّ فتيان من طلبة الجامعات . فان هذرهم وضجيجهم وما يبدو من سنهم ينم عن ذلك . وكان أكبرهم سناً فتى معتدل القامة جميل المنظر فى سروال « التنيس » الأبيض وقميصه الخفيف وسواعده العارية . وكان

هو أكثرهم اهتماما بأمر الفتاة . طفقت أنظر إلى كل هـذا ، وذكرت أن ذقنى لم يحلق منذ ثلاثة أيام ، وتلك أيضا عادة من عاداتى . فأنا لا أفكر فى ذقنى وهندامى إلا مصادفة . ثم ذكرت قلنسوتى « البيرية » التى تهبط إلى أذنى كأنهـا « لبدة » وعصاى الغليظة وكتابى الضخم بغلافه السميك القديم كأنه سفر من أسفار السحر والتنجيم . فأدركت أن منظرى لن يؤهلنى إلى طلب فنجان من الشاى فى هـذه القهوة ! أأنهض إلى غيرها ؟ هذا مستحيل . إن هـذا الجو الشعرى الجميل الذى يكتنف هذه القهوة هو فى ذاته متعة دونها كل متعة . وطال جلوسى . وطالت مشاهدتى ، ومر الوقت سريعاً دون أن أشعر به . وقام اناس ، وقعد اناس ، وانا فى مكانى لايشعر بى احد .

ولا اطلب شيئاً إلى احد . لقد خجلت ان استرعى التفات الساقيات الثلاث مادامت انظارهن لاتريد ان تقع على مثلى ! وجعلت اسائل نفسى نبرة مريرة ، وروح كسيرة :

— ماذا يمنعنى من ان اعيش كما يعيش هؤلاء الأحياء ؟ ما احسبنى قد بلغت سن اليأس ، وأنا الآن بالمصيف فى شهر راحة . مايمنعنى من حلق ذقنى كل صباح وترتيب شعرى وتعريضه للشمس والهواء . . وارتداء مثل هذا السروال الأبيض الجميل والقميص ذى السواعد العارية ؟ ؟ . لم أتلق جواباً عن سؤالى . ولكن نظرة منى وقعت على صديقى « ابن عبد ربه » الموضوع إلى جانبى ادركت معها فى الحال من المسئول عن كل ماصرت إليه !

نعم ، وا أسفاه ، نعم وودت لو أنقض عليه فأقطعه تقطيعاً وامزقه تمزيقاً . ولكنى اكتفيت بحمله بين يدى فى سخط شديد كمن يحمل كتابه الذى سطرت فيه لعنته وقدره المحتوم .

وعند ذلك حانت من الفتاة التفاتة إلى . وفطنت إلى وجودى ، فأسرعت إلى تقول فى ابتسام واعتذار :

— نسيتك ياسيدى .

فأجبتها فى ابتسام وتسامح :

— لا بأس . إنك على كل حال لم تنشى شيئاً ذا خطر .

وأحضرت إلى ماطلبت . ولم نتبادل كلاما أكثر من ذلك . ولكنى سعدت به . فنحن معشر

الأدباء المساكين نرضى بالقليل . ويكفى لاسعادنا وإلهامنا أتفه الاشياء .

* * *

كثر اختلافى إلى هذه القهوة . وكنت فى كل مرة أرى عين الأشخاص يلعبون عين الأدوار .

فالطالب فى لباس « التنيس » ينادى « فرانسواز » فى كل لحظة ، ولايشبع من الحديث معها ، ولا يضن بطلب مشروب بعد مشروب . استباق للساقية الجميلة إلى جواره . ولقد سمعته ذات مرة وقد انفلتت من فمه هذه الكلمة :

— أوه ! لقد خربت وافلست . واضعت كل نقودى فى هذه القهوة !

ويلبث فى سروره وضحكه وهذره ساعة ثم يمضى

إلى ملعبه ، مطوحا « بمضربه » فى الهواء فرحاً سعيداً .

ويأتى الزوج الشاب ، وقد ترك زوجته فى الفندق وحيدة متذمرة تعسة مرتابة . فينادى : « فرانسواز » . ويطلب السعادة هو أيضا ساعة فى عينيها الباسمتين غير مبال بخطر فقد زوجته فى هذا السبيل .

تأملت كل هذا لحظة . ثم قلت لنفسى :

— هذان شابان جميلان . ومع ذلك فقد أضاعا شيئا فى سبيل لحظة هناء إلى جوار هذه الفتاة . ماذا أعطى أنا من أجل لحظة تحادثنى فيها هذه الفتاة ؟ نعم ، هنا كل سعادتى ومطمعى : أن أسترعى اهتمامها لحظة وأن تقبل على تحادثنى حديث المشغوف بمحادثتى !

لكن . . هل هذا ممكن الحدوث وقد ابتليت بصحبة هذا الزميل المنحوس ؟ وانكببت على ورقى الذى كنت قد نشرته . وفتحت صدر ابن عبد ربه أمامى ووضعت فيه همى . وكأن القدر شاء مداعبتى أو أراد متعمداً أن يكشف لى قليلا عن جوهر نفسى المحجوب عن عينى ، فأحدث المعجزة . وإذا الفتاة تدنو منى مبتسمة متعجبة وتقف لحظة ترمق سطور « ابن عبد ربه » وهى صامتة ، وفطنت الى قربها ، فاضطرب قلبى ورفعت رأسى . فابتدرتنى قائلة فى همس :

— أهذه كتابة صينية ؟!

فضحكت وقلت :

— بل عربية .

— ما أعجبها ! أتستطيع ان تقرأ هذا « النبش » فى سهولة ؟

— بالطبع . وأكتبه أيضا .

— وتكتبه ؟

— نعم . انظرى ..

ومضيت أكتب أمامها . وهى دهشة مسرورة . وجعلت تستفسرنى كثيرا من معانى الكتاب . وقاطعها النداء من كل جانب . فكانت تذهب لتلبى ثم تعود إلى تحادثنى مغتبطة ، وقد تطرق الحديث إلى مواضيع كثيرة . وقد ادركت من حديثى ان الكتابة صناعتى ، فأقبلت تعرض علىّ الوانا من حياتها تصلح قصصا . وبدا على السرور أول الأمر . وبدأت أحترم ابن عبد ربه . فبفضله تم

كل هذا ، ولكن ما كدت أتردد على القهوة مرة أخرى وتقبل علىّ الفتاة تحادثنى ذلك الحديث الطويل فى مختلف الشئون ، حتى أحسست أن كل شىء قد تغير فى نفسى ؛ فالأشجار ليست الأشجار ، والجنة ليست الجنة ، ووجهها لم يعد فيه السحر القديم ، والجو الشعرى قد ارتفع عن القهوة . ذهب السحر وتهتكت أستار الأسرار . وما أنا والفتاة الآن إلا صديقان ثرثاران !

وشعرت عندئذ أن لاشىء عاد يربطنى بالقهوة ووددت لو أتركها الى غيرها حتى أتفرغ للعمل ، وأتم الفصول الأولى التى بدأتها مدفوعا بتلك القوة الهائلة من لحظة سعادة خفيفة مرت . عند ذاك فهمت أن السعادة التى تلزم لنا نحن الفنانين ، لنقوم بالأعمال

الكبار ينبغى أن تكون بمقدار ! ! مقدار صغير ثمين مثل « الراديوم » . فاذا انغمرنا فى خوض من هذه المادة السحرية فانها تنقلب فى نظرنا ماء قراحا لا فعل له ولا أثر .

وتأبطت « ابن عبد ربه » أخيرا ، وانصرفت به وقد . . . انتصر !

فى حانة الحياة

ساقون ثلاثة فى « حانة الدنيا » إذا ناديتهم أقبلوا بالكؤوس وهم يرقصون ، وفى عيونهم وشفاههم بسمات خفية ساخرة لاترتاح لها نفس ... أول « جرسون » من هؤلاء طفل ، وهو أبداً طفل وعمره خمس سنين ... ويدعونه « الحب » ، والثانى رجل وهو أبداً رجل وعمره أبداً أربعون سنة ... ويسمونه « الشيطان » ، وثالثهم لا عمر له ويدعى « الموت » والموت هو « البارمان » لهذا الحان . وهو الوحيد من بين الثلاثة الذى لم أفكر يوما فى الدنو منه ، وقد زهدت من أجله فى الشرب على « البار » ! . . : منظره لايعجبنى

وحسبى منه وقفته الوقحة و « فوطته » القذرة التى بها ألف خرق . وضحكته التى كسعال المسلولين وأسنانه الصفراء العفنة من تأثير ادمانه على التدخين والمغيبات . إنه « يقرفنى » ومحال أن أتناول شيئاً من يده طوعاً واختيارا . . .

أما « الشيطان » فيعجبنى بطلاقته وزلفاه وذكائه . ولولا علمى أنه محكوم عليه غيابيا . . . وأنه من أرباب السوابق فى جرائم النصب والاحتيال ... لركنا إليه . . . أنا وكافة « الزبائن » . . .

أما « الحب » فالويل من هذا الطفل الجاهل الجميل! إنه يأسرنى بلطفه ورقته . . . أجل إنه الساقى الوحيد الذى أتناول من يده كل شىء . . . وبلا تحفظ . غير مبال إن كان ما يعطينى سمًا أو « شمبانيا » . . .

ناديته فى الربيع الماضى فأقبل يحمل إلى الكأس . .
ووقف ينظر الى برقة ساحرة ويبتسم إلى بابتسامة خلابة
تحوى أشياء لم أكن أدركها فى ذلك الحين :

— ماذا تريد ؟ . . . (البقشيش) ؟ . . .

— كلا . . أريد ألا تطلب إلى شيئا بعد ذلك . . .
إياك أن تطلب قليلا من الثلج . . . إن طلبت قليلا من
الثلج فلن آتى لك بطلبك . . .

— أطمئن . . . لن أطلب إليك شيئا . . . أبداً . . .
لا (ثلج) ولا (صودا) . . .

وأقبلت على الكأس . . . لكنه استوقفنى أيضا .
وغافلنى وحمل الكأس وجرى قليلا . ثم ضحك ضحكة
صبيانية وقال فى نبرة ملائكية :

سأعذبك . . .

غير انى لم أسمع ولم أر ولم أدرك إلا شيئا واحداً : انه حمل الكأس وابتعد . فارتجفت وصحت مدفوعا بالرغبة والظمأ ...

— هات الكأس ياجرسون ...

فاقترب به من شفتى ... وقال بنفس الصوت الموسيقى العذب

— سأعذبك !

— هات الكأس ياجرسون !!

— سوف تلعننى ...

— أنا ؟؟ !

— سوف تمقتنى ...

— أنا عبدك ...

— سأعذبك ...

— هات الكأس ...

— خذ !

* * *

ومضى عام :

— ياجرسوس . ياجرسون !

— ماذا تريد ؟

— الثلج ... فى الحال ... الثلج !

— لقد أنذرتك

— ارجو منك . . . قطعة واحدة من الثلج !

— قد أنذرتك .

— قطعة ... ولك ما تريد ...

— هيهات . هيهات !

— لاتبتعد ؟ ... لاتهزأ بى . لن تتركنى قبل إحضار الثلج .

— هيهات . هيهات !

— لقد خدعتنى . . . ما كنت أظن طفلا بريئا جميلا يجرؤ على هذه الجريمة : يقدم إلى بدل ماء الكروم ماء النار !

— الكروم والنار . . . يالك من غر ساذج ! . . . الخمر والنار هما عنصرا حياتى . وهما لون خدودى ولون شرابى !

— قطعة من الثلج . . . ولك ماشئت !

— محال . . . !

— رحماك ! .

— لو كنت عاقلا لأدركت ان الثلج ليس فى عهدتى .

— لماذا ؟ ؟ . . . لماذا ؟ ؟ . . .

— سل صاحب الخان . . .

— أنقذنى . . . لعنة الله عليك .

— الثلج لايمكن أن يكون فى عهدتى .

— آه ياملعون ! ! وما العمل ؟

— عليك بجرسون آخر ؟ ؟

— جرسون آخر . . من ؟؟ من ؟؟

فجرى « الحب » إلى « الشيطان » وأسر إليه كلاما ثم أشار بيده إلىّ أنا « الزبون » المسكين ، وإذا « الشيطان » أقبل نحوى :

— أنا . . . هو ذا . . . ماطلبك ؟ . . . أنا القدير على تنفيذ رغبتك . . . مرنى أطع أيها السيد النبيل !

— الشيطان ! !

— خادمك . !

— كلا مستحيل ! أنت من أرباب السوابق .

— مظلوم ! . . . وربك لم يثبت ضدى شيء . . .
لاتصدق وشايات الناس . وربك إنى متهم زوراً وبهتاناً .

— ماالدليل على براءتك ؟

— هاك ... « رخصتى » ... بيضاء كقلب الجنين . !!

— أليست . . . مزورة . . . ؟ ؟ ؟ على كل حال أنافى
حاجة إليك الآن ! إنى فى حاجة شديدة إليك . . أسامع ؟

— محسوبك . . .

— . . . الحب . . . هزأ بى . . . انتقم لى . . .

— آسف ! الحب زميلى وليس لى عليه سلطان .

— ما العمل إذن ؟ . . .

— دع الانتقام . . . وفكر فى الدواء . . .

— الدواء . . . الثلج . . . قطعة من الثلج . . . إذن !!

— الثلج ليس بالدواء . . . الدواء هو . . .

— هو ! ! هو ماذا ؟ تكلم ؟

— هو الداء ...وداوها بالتي كانت هي الداء . . .

— ماذا تعني ... ؟

— أطلب من « الحب » كأساً أخرى . . . !

— قل سما آخر ، نارا أخرى سائلة في كأس صافية : . . . لا ، أيها النصاب لقد خدعت مرة . . .

— ومن أدراك ؟ . ربما في هذه المرة . ؟

— اخرس . يامنافق . . . دوائي الثلج . . . وأنا أدرى الناس بدوائي . . . أعطني قطعة من الثلج . . . أسرع بالثلج . . .

— محال . . .

— أنت أيضاً . . .

— الثلج ليس في عهدتي . .

ـــ كيف ذلك . . . كيف ذلك ؟ . . .

ـــ سل صاحب الحان ! . . .

ـــ وما العمل ؟ . . . ارحمنى ! . . .

ـــ أدلك على « جرسون » آخر . . . وأوصيه بك خيراً . . . فلطالما أوصيته عند اللزوم بزبائننا الكرام . . .

وجرى « الشيطان » مهرولا إلى « الموت » وأسر إليه كلاماً ، ثم أشارا إلىّ أنا « الزبون » ، فتقدم « الموت » فى بطء وهو يبتسم ساخراً :

ـــ من ذا الذى طلبنى . ؟

ـــ الموت ! ! . . . آه . . . لا ، لا . . . لا . . . أبداً . . .

ـــ عجباً لكم . . . يامعشر الزبائن . . . ! كلكم متشابهون . . . تطلبون ثم تنكرون ! ألم تطلبنى أيها « الزبون » ؟ ؟ ها . . . حا . . . حا . . . حا . . .

ـــ لاتسعل فى وجهى ... أغرب عنى ...

ـــ عجبا لك ! . حا . . . حا . . . سعالى يخيفك . . . أتحسبنى مسلولا . . . لا . . . أخطأت ! هـــذا من الافيون نعم ... ها ... حا ... حا ... ألا تحب تعاطى الأفيون ؟

ـــ بالله ... ابتعد ... أسناك الصفراء ... ابتعد ... ابتعد ...

ـــ والثلج ... ألا تطلب الثلج ... هو فى عهدتى ألا تريد ؟؟ ...

ـــ فى عهدتك ؟؟ ...

ـــ فى عهدتى دائما ؟ ... من يوم (نزولى الخدمة) ، بهذه الحانة ...

كلا لاتقربنى ... قلت لك ... لاتقربنى ...

أستودعك الله . !

ـــ إلى أين ! ؟ حا ...

ابتعد عنى ... أنت لاتطاق ... رائحتك كريهة ...

ـــ والثلج ... حا ... حا ... ألا تطلب ثلجا ... أبيض ... تعال لاتخف ... تعال ... ثلجا أبيض مثل الكفن ! !

ـــ النجدة ... النجدة ... ياجرسون « حب » ، ياجرسون « شيطان » ... ياصاحب الحان ... أنقذونى من هذا الجرسون الفظيع ... كل شىء يطاق إلا هذا الجرسون البارد الفظيع ...

حقوقی علی نفسی

فى ذات صباح دخل على حارس بابى وقدم إلى خطابا قال إن صاحبه ينتظر الاذن « بالمثول » . وفضضت الغلاف وقرأت الخطاب فاذا هو معجب متحمس قد ذهب الاعجاب برأسه فجاء من بلدته وتحمل نفقات السفر كى يظفر بخمس دقائق يرى فيها ذلك التمثال من الحكمة فوق عرش من الذهب . أو ذلك المخلوق العجيب الذى تتساقط من فمه درر الفن والأدب . فتملأ أحواضا حوله يسبح فيها بط و أوز من الفضة والماس وتنبت فيها أزهار من النور والبللور . إلى آخر هذا الخيال الذى لمحت أثره بين السطور . وكان عندى وقتئذ أديب معروف اطلع

على الخطاب وقال : هذا يذكرنى بأحد الموسيقيين فى القرن الماضى . مشى من بلده على قدميه ليرى « ريتشارد فاجنر » فلما بلغ حيث يقيم اكتفى بمشاهدة خيال الأستاذ قائما خلف زجاج نافذته ، وقفل إلى بلده غانما باسما .

فقلت لصديقى :

ـــ لامحل هنا للمقارنة . فأنا لست « ريتشارد فاجنر » وصاحب الخطاب لن يقنع منى فيما يظهر بشبح مار خلف نافذة . لاتنس أنه دفع نفقات السفر ليرى مناظر قد صورها خياله منذ أيام وشهور ، وليعيش تلك الدقائق الخمس فى جو عبق بأحلام وأوهام ساورته فى ليال طوال وهو يقرأ ذلك « الهراء » الذى ملأنا به كتبا ذات ورق صقيل وطبع أنيق . أى خيبة أمل ستصدم نفس هذا المسكين إذ يجتاز الساعة عتبة هذا

الباب . وترددت قليلا . ولحظ صاحبي ترددى فقال :

— إيذن له على كل حال.

فأذنت . وليس فى مقدورى أن أفعل غير ذلك . فان رفض المقابلة فى مثل هذه الحال قسوة وسوء أدب . ودخل الزائر . فاذا شاب يتقدم فى حياء واضطراب . سلم فى احترام ، وجلس حيث أشرت إليه . ولبث صامتا مطرقا ينتظر منى أن أبدأ الحديث . ولم أجد أنا ما أقول له . وطال صمتنا . ورأى صديقى الأديب أن الموقف قد فتر وبرد إلى حد أخجل الشاب فوق خجله . فافتتح الكلام فى لباقه قائلا للشاب :

— أنت قرأت للأستاذ طبعا...

فاندفع الشاب يقول فى قوة وتحمس :

— كل شىء . كل شىء من « أهل الكهف »

الخالدة إلى آخر مقال ظهر فى الصحف للأستاذ .

فلم أنظر إلى الزائر والتفت إلى صديقى الأديب وقلت .

ـ ألم تدركها الوفاة بعد « أهل الكهف الخالدة »؟..

إن هذه « الخالدة » جديرة أن تموت « حرقا » كما تموت الساحرات الكاذبات .

فاحمر وجه الشاب وأراد أن يقول شيئا . ولكنى مضيت فى كلامى :

إنى أرجو ممن يسبغ مثل هذه الصفات على مثل هذه القصة أن يقرأها بعد عشرة أعوام . فان استطاعت أن تحتفظ بسحرها عشرة أعوام فقط حق لك أن تعجب وأن تغتبط .

فلم يطق الشاب صبرا وصاح بى :

— لاتقل ذلك... لاتقل ذلك أنت ولاشك لم تقرأ..

ولم يتم . فقد قاطعه صاحبي الأديب بقهقهة عالية وهو ينظر إلى :

— أسمعت ؟ إنك لم تقرأها . . وإنك لتحكم على شيء ليس لك به علم . .

وخجل الفتى الزائر قليلا وتمتم باعتذار خافت وقال :

— إنى قرأتها كثيراً . لا أذكر كم من المرات . فاذا لم تكن هذه القصة خالدة فما هى القصة الخالدة ؟

— إنها « خالدة » إذا هبطنا بسعر « الخلود » إلى خمسة أعوام :

فاحتج الشاب وحرك يده على نحو عنيف فلم ألتفت إليه واتجهت شطر صديقى الأديب وقلت :

— إنى لن أنسى يوم شاهدت هذه « القصة » تمثل

المرة الأولى . لقد خرجت من إطارها الساحر . هذا الطبع الأنيق والورق الفاخر . فاذا هى شىء هزيل . لايكاد يقف على قدميه . وإذا سحرها الوهمى الكاذب قد طار عنها كما يطير الريش الملون عن الطاووس الجميل فلا يبقى منه غير شبه جيفة من اللحم الأزرق والعصب الضئيل . هذه القصة التى لم تثبت « للتمثيل » أتستطيع أن تثبت « للزمن » ؟ .

فتململ الشاب ونظر إلى صاحبى الأديب نظرة المستنجد وقال له :

— إنى لم آت اليوم لأسمع هذا الكلام من الأستاذ.

فأجابه صاحبى باسما :

— إن الأستاذ أدرى بعمله منا .

فقاطعه الفتى قائلا :

— لا... لا... أبداً .

فنظر إليه صديقى دهشاً :

— ماذا تعنى ؟

فصاح الشاب فى حماسة :

— إن أعمال الأستاذ خالدة جميعاً .

فلم أستطع كتمان ضحكى وقلت من فورى :

— أقسم أن الأستاذ الذى تتحدثون عنه لم يكتب سطراً خالداً .

فنهض الشاب على قـــدميه منفعلا وقال بصوت متهدج :

— إنى لا أسمح لك . . إنى لااسمح لك ...

فأسرع صاحبى الأديب وهمس فى أذنى :

— إلزم الصمت . إنى ألمح الشر فى عينيه . وليس

بمستبعد أن يهجم عليك ويشبعك ضربا .

فابتسمت وقلت للشاب فى هدوء ورفق :

ـــ سنتفق على كل حال ذات يوم . وربما فى يوم قريب . وسترى بعينيك أنى أنا الذى كنت على حق .

فهدأ الفتى قليلا ثم نظر إلىّ وقال فى نبرة الأسف:

ـــ لماذا تريد أن تهدم عملك ؟

ـــ لأنه لايساوى الآن شيئا . لقد قام بمهمته وانتهى الأمر . إن الفن طويل والعمر قصير . وإن هذا الهراء الذى نكتبه ليس إلا محطات صغيرة نجتازها أثناء السفر فى طريق الفن ، لاينبغى أن نقف عندها ولا أن نرجع البصر إليها . إن مايهمنى الآن هو المحطة التى بلغتها اليوم والمحطة التى أريد أن أبلغها غداً : إنى فى كل محطة يخيل إلى أنى فى مبدأ الطريق

ـــ إنه لتواضع .

ـــ لا . إنه ليس كذلك ، ينبغى أن تكون معى فى هذا السفر الطويل حتى تدرك أن « أهل الكهف » شىء قد مات ودفن منذ أعوام .

ـــ إنها لم تمت .

ـــ الكلام معك أيها الشاب لافائدة منه .

ـــ معذرة يا أستاذ . إنى لن أصدق أن « بريسكا » ميتة الآن . مهما تقل ومهما تفعل . إنى أسمع كلامها وأعيش معها . وأكاد أراها الآن . إن ملامحها وتقاطيع وجهها وقوامها الرشيق وخصرها النحيل ... كل هذا حى فى رأسى وقلبى . كل هذا مصور فى مخيلتى تصويراً لاتمحوه كلماتك التى قلتها اليوم ولا أضعافها . إنى كنت قد جئت لأحدثك حديثا طويلا عن « بريسكا »

وأستزيد من خبرها ولكن .. أرجو أن تأذن لى الآن فى الانصراف.

ومد لى يده فجأة وودعنى فى صمت وذهب سريعا وأنا أنظر إليه حتى اختفى وحال بينى وبينه الباب. وأطرقت لحظة ثم رفعت رأسى ونظرت إلى صاحبى الأديب فاذا هو كذلك مطرق مفكر. وأخيراً التفت إلى وقال:

— ما كان ينبغى لك أن تقول كل هذا الكلام لهذا الشاب المسكين.

— أو كان ينبغى لى أن أتركه فى وهمه مخدوعا فى خلود كاذب.

— ليس من حقك أن تصدر على نفسك أحكاما أمام الناس. إنك مادمت قد استطعت أن تخلق للناس أوهاما جميلة وأحلاما حلوة يعيشون فى جوها فان من

الاثم أن تخرجهم منها بكلمة . ومع ذلك فكن على ثقة أنهم لن يصدقوا كلامك وإن حرصهم على هذه الأوهام التى ألفوها لأشد من حرصهم عليك أنت وعلى حقيقتك التى تزعمها . أترى لو بعث نبى من الأنبياء اليوم وجاء يهدم دينه الذى أتى به قديما ، ماذا يكون شأنه . أيصدقه الناس بسهولة أم تراهم يرجمونه بالحجارة ويرمونه بالكذب والجنون ؟ ؟ إن تمسك الناس بالوهم الذى اعتادوه لأقوى من كل حقيقة .

— ياللعجب . أليس لى الحق إذن أن أهدم نفسى إنه لجنون أن أتصور أن ليس فى أستطاعتى أن أهدم نفسى .

— نعم وإنها لنعمة حرمها المؤلف فيما حرم من أشياء . إن حقوقه على نفسه ليست محفوظة له كحقوق الطبع والتأليف !

مع الاميرة الغضبى !

الاميرة الغضبى هى « پريسكا » بطلة قصتى « أهل الكهف ». وهى مثلى تحب الكتب ، هذه الحسناء النضرة كالزهرة . وكانت نعيش ربيعها الباسم مع مؤدبها « غالياس » هذا الشيخ الفانى ذو اللحية البيضاء . إلى أن وضع القدر أمامها : الفتى الجميل « مشلينيا » فما كاد يتفتح قلب هذه الزهرة للحب ، حتى رأت « القدر » قد حال بينها وبين حبيبها ، وسطر فى اللوح أمر موته . وقدر « پريسكا » هو « أنا » . ولا فخر . أنا الذى فى يدى سعادتها وشقائها ، أسطرهما بكلمة من قلمى ! لقد تذكرت هذا ، ذات ليلة ، فحدثتنى نفسى أن

أهبط إلى عالم مخلوقاتى ، فأرى الراضى منهم والساخط ، وأطوف بمشاعرهم نحوى ونحو الأشياء كما كان يفعل آلهة الأساطير !

ذهبت إلى الأميرة بريسكا . فوجدتها تتألق فى حسنها المعهود . ولكنه حسن عليه غيمة حزن . فما إن رأتنى وعرفتنى ، حتى هبت إلى صائحه :

— إنى أبغضك ! ... من أعماق قلبى .

— أستغفر الله ! لماذا ياسيدتى ؟ ماجنايتى !

— وأحتقرك كما أحتقر غالياس .

— لاحظى ياسيدتى قبل كل شىء أن ليست لى لحية غالياس !

— قل لى أنت قبل كل شىء : ماذا عليك لو انك أبقيت لى مشلينيا ؟ ... لو أن قلمك تمهل لحظة صغيرة

ولم يقصف تلك الحياة قبل أن يحضر غالياس وعاء الابن ...!

ماذا كسبت أنت من موت مشلينيا قبل الأوان ؟ لحظة واحدة صغيرة كانت كافية لانقاذ الفتى . . . لكنك ضننت بها أيها القاسى الظلوم ! .

— لست قاسياً ياسيدتى ولاظلوماً . لو كنت أملك بقاء مشلينيا دقيقية واحدة لأبقيته لك عن طيب خاطر .

— لو كنت تملك ؟ ومن يملك ؟ !

— لاتحمليني ياسيدتى هذه التبعة !

— جميل أن يتنصل خالق من تبعة خلقه كل هذا التنصل ! !

— آه ! . ما أظلم الانسان ! وما أحوج الخالقين إلى الرحمة والرثاء فى هذا الوجود !

— نحن الظالمون وهم المظلومون ! شيء بديع !

— إنكم تحملونهم التبعات وترمونهم بالظلم وهم براء من كل صفة من هذه الصفات . فلا ظلم ولا عدل ، ولاقسوة ولا حنان ، ولا غضبي ولا رضى . تلك عواطف لايعرفونها ولا يشعرون بها . ولو أصغى إله لصوت آدمى لانحل الكون فى طرفة عين . كما تنحل قصة أهل الكهف لو أنى أصغيت إلى شخص واحد من أشخاصها ؛ فأنت تريدين أن أؤخر موت مشلينيا دقيقة . ولاتعلمين أن هذه الدقيقة الواحدة كانت كفيلة ان تغير وجه القصة وتقلب مصير الأشخاص وتلقى عناصر الفوضى فى العمل كله . كلا ياسيدتى . إنى لم أرد موت مشلينيا ولم ارد بقاءه . ولم أحب ولم أكره . ولم أظلم ولم أعـــدل . إن الخالق لايمكن

ان يخضع لغير قانون واحد « التناسق ».

— هذا كلام تبرر به قسوتك .

— انت ياسيدتى لاتعرفين مامهنة الخالق ! ثق ان كلمة « قسوة » لامعنى لها فى تلك المهنة .

انت كائن لايمكن ان يفهمنى ولايمكن ان يفهم الحب .

لا افهمك ، هذا صحيح . إما انى لا أفهم الحب فهذا غير صحيح .

— هل أنت تفهم الحب

— قليلا .

— هل احببت فى حياتك . . . ؟

— أيتها الأميرة ! لا اسمح لك بالكلام فى شئونى الخاصة .

— معذرة ! إنما اردت ان اعرف كيف فهمك للحب ؟

— ماذا تريدين ان تعرفى ؟ أحب الخالق وهو روح التناسق ؟ أم حب المخلوق . . . ؟

— بل حب المخلوق ... حب القلب ... الحب ماأريد . آه ... صدقت مادمت انت خالقاً وانا مخلوقتك فان بيننا تلك الهوة ... فأنت لاتنظر إلىّ بعين خاصة . ولاتعرفنى معرفة خاصة . ولا تتصل بى اتصالا مباشراً . إنما تنظر إلىّ كعنصر من عناصر الكل المتسق . تنظر إلىّ بعين ذلك القانون الذى تحكى عنه ، وينبغى ان تكون مخلوقاً مثلى وعنصراً أو جزءاً مثلى حتى يكون بيننا ذلك الارتباط الخاص وذلك الالتفات الخاص . فهبك كذلك وهبنى احببتك فهل تحبنى ؟

ـــ يالك من ذكية ماهرة !

ـــ اجب . إذا احببتك ... ؟

ـــ ومشيليفيا ؟

ـــ دعنا الآن من مشيليفيا .

ـــ إذا احببتنى . ؟ أنا؟

ـــ نعم ، انت .

ـــ إنى اخشى هذا الحب .

ـــ لماذا ؟

ـــ لأنك لن تحبينى .

ـــ من اين لك العلم ؟

ـــ هل رأيتنى ؟ إنى لاشبه مشيليفيا فى شىء ، فليست لى فتوته ولا جماله ولا قوامه ولا ذراعاه ولا شفتاه ...

— ولا قلبه ؟

— اتردد قبل ان اجيب ، قد يكون لى قلبه ، لكن ثقى انى لو شقيت فى الحب فانى لا أذهب إلى الكهف ولا أموت جوعا . اولا ... ليس عندى كهف اموت فيه . وإن وجدنا الكهف ، فلسنا واجدين الشجاعة والصبر عن اكل الشواء والدجاج يوماً واحداً ...

— إذن ليس لك حتى قلبه !

— نعم واأسفاه !

— إذن ما يصنع مثلك لو شقى فى الحب ؟

— يذهب إلى كهف من كهوف النبيذ فى مونمارتر ويؤلف قصصاً تمثيلية .

— مرحى ! . مرحى ... !

— لا تغضبى أيتها العزيزة بريسكا .

— اهذا فهمك للحب ؟

— ماذا تريدين ؟ إنا لسنا قديسين !

— نعم ، لستم سوى خالقين ! آه .... كنت احسبكم خيراً من هذا !

— كذلك قال غالياس يوماً فيما أذكر عن القديسين الثلاثة إذ خالطهم وحادثهم . الاتذكرين ؟

— كنت اظنك على الأقل خيراً من غالياس المسكين فما للحب !!

— يشق على ان يخيب ظنك فى ياعزيزتى !

— عزيزتك ! كلا . لست اسمح لك ! إنك تخاطبنى كما لو كنت تعرفنى من قبل ، أو كما لو كنت لى بعلا !!

— حقيقة ايتها الأميرة ليس لى هذا الشرف !

— تستطيع ان تتصرف ياهذا !

– انصرف إلى اين ايتها الأميرة ... ؟

– اتسألنى ؟ إلى حيث كنت ... إلى سمائك ...

– اين هى هذه السماء ؟ فى قهوة « سيرانو » ؟ أو فى قهوة « جروبى » ؟ ما أكثر اوهامكم ايتها المخلوقات !

– نعم ما اكثر اوهامنا ... وتخيلاتنا ... وخيبة آمالنا !

– ذلك انكم تريدون ان تخضعوا كل شىء لخيالكم انتم .

– صدقت ! إننا نتمثل القديسين والآلهة كما تصورهم لنا عقولنا ...

– ثقى ان لو كشف المجهول يوما لأعين البشر لصاحوا كلهم بكلمتك التى لفظتها الساعة . « كنا نحسبه خيراً من هذا ... ! »

— ربما . . .

— ذلك انهم سيرون المجهول شيئا لا علاقة له بعقلهم ، ولا بخيالهم ، ولا بمنطقهم ، ولا بعواطفهم ، ولا بمشاريعهم .

— إنا مخلوقات . ماذا تريد من مخلوقات ؟ إنا لانستطيع ان نخرج من انفسنا لنفهم ونرى شيئا غير انفسنا .

— ومع ذلك فان لهذه المخلوقات كنزاً لا يوجد عند الآلهة .

— القلب .

— نعم .

— أنى اؤمن بما تقول ، فها انت ذا خالق من نوع قافه . . . وليس لك القلب الذى لمشلينيا . . . !

— اعترف انى اقل شأنا من حبيبك .

— ومع ذلك فقد اجترأت يدك على اطفاء حياته الجميلة .

— عدنا إلى الاتهام .

— انى ابغضك ... امقتك ... ابغضك من أعماق قلبى ...

— سبحان الله ! اقسم ان لافائدة من مناقشة امرأة تحب .

امام حوض المرمر!

فى ليلة من ليالى وحدتى الطويلة ، تاقت نفسى إلى أنيس . فذكرت الملكة « شهر زاد » . وهى أيضا من مخلوقاتى الجميلات . فقلت : لايؤنسنى الليلة غيرها . فهبطت إلى قصرها . كما هبطت إلى الأميرة « پريسكا » من قبل . نعم . . ! وهل يؤنس مثلى إلا الملكات والأميرات ! إن عالمى الزاخر باللآلىء والحلى والتيجان هو دائما فى خدمتى ! هذا كل عزاء مثلى من «الخالقين» المتدثرين فى سحب « عزلتهم » الباردة !

* * *

ذهبت إلى شهر زاد فوجدتها متكئة على الوسائد

تنظر باسمة فى حوض من المرمر ، قد انعكست أشعة عينيها الذهبيتين على مائه ، فاتخذت صفحته الهادئة لوناً غريباً ... وجلس بين يديها الوزير الجميل « قمر » فى إطراقه وحيائه ونفسه الزاخرة بألوان العواطف الجميلة المكتومة . وكان بينهما هذا الحديث .

شهر زاد — (فى مكر) أراك ياقمر تسرف فى إطرائى وتبخس قدر صديقك شهريار .

الوزير — لم أبخس قدره .

شهر زاد — (فى مكر) يخيل إلىَّ أنك نسيت ماينكما من ود عجيب .

الوزير — (فى حدة) لم أنس شيئاً .

شهر زاد — (فى خبث) بلى !

الوزير — (فى حدة عمياء) إنى لم أنس شيئا . إنما أبين

لك لماذا أنت تحبينه أسمى الحب ، فلا تزعمى لى غير هـذا مرة أخرى . إنى لست أخدع . لست أخـدع . لست اخدع !

شهر زاد — (هادئه) قمر ؟ ماذا دهاك ؟

الوزير — (يثوب إلى رشده) مولاتى مغفرة . انى ..

شهر زاد — انك أحيانا لاتملك نفسك .

الوزير — انى . . أردت أن أقول إنك غـيرته ، وإنه انقلب انسانا جديداً منذ عرفك .

شهر زاد انه لم يعرفنى .

(وهنا يسمعان طرقا شديداً فقد طرقت أنا عليهما الباب)

الوزير — (يرهف السمع) هذا هو .

شهر زاد — ان شهريار يحمل دائمـا مفتاحه ولايدخل القصر إلى من سردابه .

الوزير — من الطارق إذن ؟

شهر زاد — اذهب وجئنى بالخبر

(الوزير يخرج مسرعا)

شهر زاد — (كالمخاطبة لنفسها) مسكين أنت ياقمر !

(الوزير يرجع على عجل)

قمر — مولاتى ! أتدرين من الطارق ؟ رجل عجيب الزى ، يقول انه المؤلف ، ويلتمس المثول بين يديك

شهر زاد — (فى عجب) المؤلف ؟ أى مؤلف ؟

قمر — لم أفهم مراده . انما هذا ماقاله لى .

شهر زاد — أدخله لنتبين أمره .

قمر — أفى مثل هذه الساعة من الليل ؟ .

شهر زاد — وماذا يضير . انك معى .

قمر — نعم سألبث معك .

(يخرج قمر فى الحال)

شهر زاد ـــ (كالمخاطبة لنفسها) المؤلف ؟ : أتراه أحد السحرة قد أرسل فى طلبه شهريار ؟

* * *

وقادنى قمر إلى شهر زاد ، فدخلت أتأمل المكان وأنظر إلي عجائب القصر . ورأتنى شهر زاد وتأملت زيى قليلا ، ولكن حسنها وهيبتها لهما عين السحر فى نفوس الخالقين والمخلوقين فوقفت أقول مأخوذاً .

ـــ مولاتى . . .

ـــ ماذا بك ؟ .

ـــ أأنا بين يدى شهر زاد ؟ .

فهمس فى أذنى الوزير الجميل :

ـــ نعم أنت فى حضرة الملكة العظيمة .

فقلت كالمخاطب لنفسى :

— نعم ، لا يمكن لهذا الجمال أن يكون لغيرها

ورأت الملكة الجميلة مابى فقالت لى:

— بم تهمس كمن به مس ؟ .

— مغفرة أيتها الملكة ، إنى . . .

— لماذا تنظر إلى هكذا ؟ .

— هذا الجمال . . .

فالتفتت شهر زاد إلى وزيرها قائلة :

— أرأيت ياقمر ، إنك قد جئتنى آخر الليل بمعجب مفتون .

فنظر إلىّ قمو قائلا فى شىء من الحدة :

— ماذا جئت تصنع هنا أيها الرجل ؟

فقلت همسا :

— لست أدرى . . .

ثم عدت إلى تأمل شهر زاد . فقالت :

— أرجو منك أن لاتطيل النظر إلىّ هكذا .

فقلت .

— مولاتى ! لاأستطيع .

فقالت وهى تبحث بعينيها الفاتنتين :

— أين الجلاد ؟

فقلت :

— نعم ، خير لك أن تأمرى بى فتطاح رأسى من أن تطلبى إلىّ أن لا أعجب بك .

— أترانى حقاً جميلة ؟

— نعم .

— إن لى جسداً جميلا ! أليس لى جسد جميل ؟

— ليس الجسد وحده.

— اقترب.

— كلا.

— لماذا ؟

فأشرت إلى حوض المرمر :

— هذا الحوض...

— أيخيفك هذا الحوض ؟

— أخشى أن تزل قدمى فأسقط وأنا لا أحسن السباحة.

— إنه قليل الغور.

— لاشىء عندك قليل الغور.

فتفرست شهر زاد فى وجهى وقالت.

— عجباً : إنك تتكلم كما يتكلم شهريار ! من أنت ؟

— خادمك توفيق الحكيم .

— أتعنى أنك صاحب توفيق أم أنك صاحب حكمة ؟.

— لاهذا ولا ذاك ، ولكنه إسم من الأسماء .

— وما صناعتك ؟ .

— أؤلف القصص .

— مثلى ؟

— لم ابلغ شأوك ، وليس لى ذكاؤك ولا خيالك.

— إنك تسرف فى إطرائى وتبخس قدر نفسك .

— قدر نفسى ؟ وما أدراك به ؟ وهل عرفت لى قصصاً على الأقل أيتها الملكة ؟ .

— كلا. ماذا صنعت أنت من القصص ؟.

— قصة « شهر زاد » .

فظهر العجب على وجه الملكة:

— أنا ؟

— نعم أنت .

— متى صنعتها ؟

— ليس يعنى الزمن الذى صنعت فيه .

— أصنعتها فى الماضى ؟

— بل فى المستقبل

— فهمت . هذا الزى العجيب . . .

— نعم . إنى أهبط إليك الساعة من المستقبل الذى أعيش فيه لألقاك فى الماضى الذى فيه الآن تعيشين ، كما يهبط الطائر من الشمال إلى الجنوب فى غابة متسعة الأرجاء .

— ياللعجب ! كلامك هذا يذكرنى بشهريار .

— أترين هـــذا ؟

— لـكنك أهدأ نفساً منه .

— نعم ، الآن .

ونظرت شهر زاد إلى ملياً .

— إنى أعجب كيف أن القدر لم يجمع بيننا قبل الآن؟

— لقد جمع بيننا دائماً .

— أين ؟ .

فأشرت إلى قلبى وقلت :

— هنا .

فقالت فى عجب وهى تشير إلى قلبى :

— هنا ؟

— نعم . ومن هنا خرجت أنت إلى الوجود فما أنت إلى صنع النار والنور الكائنين هنا .

وأشرت مرة أخرى إلى قلبى . فقالت باسمة :

— هذا جميل .

— أرأيت من أى مادة أنت مصنوعة يامخلوقتى العزيزة !

وتململ قمر ، فقال مشيراً إلى فى عنف :

— من هذا الرجل؟

فلت فى الحال :

— صه أيها الوزير . فكر فى شأنك أنت ، ودعنى فيما أنا فيه . فما جئت الليلة إلا من أجل شهر زاد .

فقالت شهر زاد فى ابتسامة عذبة :

— جئت من أجلى ؟ .

— نعم .

— وماذا تريد منى ؟

— أريد أن أعيش إلى جانبك .

وهنا ثار غضب قمر فصاح بى :

ـــ أيها الرجل ! من أنت أيها الرجل ؟

فقلت له هادئاً :

– أنا كائن أشقى منك حالا .

فقالت شهر زاد :

– لماذا ؟

ـــ لأنى أشعر ببرد الوحدة يكتنفنى فى تلك السماء ذات السحب .

فقالت باسمة :

— ويل للخالقين!

ـــ صدقت ، أجل ياشهر زاد لو لم يعش الخالق فى مخلوقاته لقتله برد الوحدة .

— تريد اذن أن تهبط إلى الأرض .

ـــ لقد قلتها أنت مرة ياشهر زاد :

لا شيء غير الأرض ؟

ـــ أين شهريار يسمع منك؟وهو الذى هجر الأرض يريد السماء ! .

ـــ لاتخشى عليه من بأس . سوف يعود إليك .

ـــ متى ؟

يوم يعلم أن السماء فى الارض .

ـــ ياهذا . . . أريد منك شيئا . . .

ـــ ماذا ؟

ـــ أمنحك قبلة.؟

ـــ تمنحيننى قبلة ؟

ـــ نعم .

ـــ وهبتها قمراً .

فنظر قمر إلى شهر زاد مستنكراً قولى وصاح :

ـ مولاتى !

فقلت له :

ـ خذها أيها الأبلة . من ذا الذى يرفض قبلة من شهر زاد ؟

فلم يحتمل قمر الرقيق أكثر من ذلك فخرج سريعا.

فقلت :

ـ هرب الأحمق.

وعندئذ نظرت إلىّ شهر زاد مليا وقالت :

ـ عرفتك أخيراً .

ـ عرفتنى ؟ من أنا ؟

ـ أأنت هو ؟ أم أنك تعيش فيه ؟

ـ من هو ؟

ـ شهريار !

فقلت مضطرباً :

لست أدرى . . . هذا سؤال لا ينبغى أن يوضع ولا ينبغى أن يلقى على .

فقالت :

- إذن ارتفع . فما أنت إلى شبح من الاشباح .

- شبح من ؟

- شبح شهريار . !

- لاتقولى هذا . إنما هو شبح وأنا الحقيقة .

- فقالت :

- أمام الأبد هو الحقيقة التى ستبقى وهو خالقك وهو مخلدك ، وما أنت إلا خيال سوف تتبعه صاغراً على مر الأيام . وإن ذكر اسمك على الدهر فانما يذكر خلف اسمه . انك تزعم الآن أنك صانعنا وخالقنا أمام ذلك الزمن المحدود ، وإنما نحن فى الحقيقة صانعوك

وخالقوك فى الغد أمام الخلود . . .

ـ ويل لى .

ـ ماذا بك؟

ـ أأنا عندك شبح ؟ تلك هى السخرية الكبرى ! فى وحدتى ينخر فى نفسى الشك . فاذا هبطت بينكم ألتمس اليقين ، علمت أنى شبح لاحقيقة ، وانى وليد صنعكم أنتم أمام الدهور .

فقالت :

ـ كل شىء يصنع كل شىء . . .

ـ نعم .

ـ ليس هناك إلا حقيقة واحدة .

ـ ما هى ؟

ـ أننا جميعا لسنا حقيقة .

ـ وأنا معكم ؟

ـ وأنت معنا لا فرق بينك وبيننا .

فتأملت قولها لحظة ثم قلت :

ـ صدقت ! ولا أمل لى مع ذلك فى أن أعيش إلى
جانبك ؟ ؟

فقالت :

ـ اليوم كلا .

ومتى إذن ؟

فقالت :

ـ فى الغد ، يوم تصبح من مادتنا ، لو أن لنا
اليوم مادة .

فأطرقت قائلا :

ـ فهمت . وداعا ياشهر زاد .

ـ إلى الملتقى !

بين الحلم والحقيقة

« أحدهما شبح الآخر »

« هو » : صانع تماثيل ، قد جلس أمام تمثال صنعه لأميرة فرعونيه .
« هى » : زوجته ، جميلة تشبه التمثال .

هو (يرنو إلى التمثال)

نفريت ! ما أجملك ! عيناك فى صمتهما العجيب تابوتان لامعان ، يرقد فى أحدهما الحب ، وفى الآخر . . . الحب .

هى (لزوجها الفنان)

ألن تكف عن مخاطبة هذا التمثال الصخرى ؟

هو

نفريت ليست من الصخر .

هى

إنك جنت .

هو

إنى أحب .

هى

تحب تمثالا من الصخر ؟

هو

إنها ليست من الصخر ، أللصخر حرارة وأنفاس ؟

هى

تلك حرارتك وأنفاسك .

هو

نفريت : . ألمس جسمك الحار فيرتجف جسمى الملتهب .

هى

إنما جسمك يلتهب من الحمى .

هو

ما أجملك يانفريت ! رأسك ذو الشعر الأسود شمس من الأبنوس . رأسك اللامع كرة ساحرة تبهر بصرى وتثقل رأسى . إننى أشعر الآن بدوار .

هى

لاتطل النظر إلى هذا الصخر اللامع .

(ترده عن التمثال)

هو

دعينى يا امرأة !

هى

كلا . لن أدعك هذه المرة . لقد ضقت ذرعاً بهذا التمثال . . . لاتحدق فيه ببصرك . . . إنك تحلم ! . . . أقسم أنك فى حلم .

هو

دعينى يا امرأة !

هى

إصغ إلى لحظة ، أتوسل إليك أن تصغى إلى .

هو

نفريت . ما أجملك يانفريت ! . صوتك الرقيق فراش جميل الألوان يطير فى لطف ورقة من جوف زنبقة حمراء !

هى

وصوتى أنا ، ألاتسمعه؟

هو

نفريت

هى

إنما أنا التى تحبك . . . ألا تسمع صوتى أنا ؟ ألم يعد رقيقاً كأجنحة فراش جميل الألوان ، وشعرى ...ألم يعد

شمساً من الأبنوس . لم تنادى نفريت بما كنت تنادينى به من قبل ؟

هو

نفريت ! لن يصنع مثلك بغير أن تفنى عبقرية ألف إله . ولن يخلق نظيرك إله دون ان يجن !

هى

ايها المجنون . . . لاسواى فى الوجود ؟ . . . انظر إلى أنا . . . لم تنعت نفريت بما كنت تنعتنى به من صفات ؟

هو

بى ظمأ إليك يانفريت !

هى

وانا . . . اما بك ظمأ إلى . . . لماذا لاتأخذ رأسى بين يديك كما كنت تفعل ، لترتشف من فمى عصير اللآلىء ؟

هو

قبلات نفريت . . . عسل من نار ، بل خمر من عصير اللآلىء فى كأس من النار . . .

هى

ويحك ! تلك صفاتى . . . اسمائى التى كنت تطلقها على أنا وحدى . . . انا جمالك الوحيد ، انا عندك منبع الحسن الخالد .

هو

من أنت ؟

هى

من انا ؟ ! الا تعرفنى ؟ إنى ابغضك .

هو

إنها لاتبغضنى ؟ إنها تحبنى ، إنها لا تحب « أسرتسن » . . . آه . . . الغيرة .

هى

الغيرة ؟!

هو

جمران مخيف يسير فوق شغاف قلب . . .

(تضحك)

هى

انا ؟ اغار من تمثال ؟ اغار من تمثال ؟ انا اغار من جمال كاذب !

هو

انا الذى يغار من زوجها « اسرتسن » . إنه الى جانبها ابداً . . . فوق عرش واحد . . . تحوطهما هالة من انفاس الآلهة . . . وتحفهما العبيد بمراوح النخيل .

هو

انت فى حلم . . . اقسم انك فى حلم .

هو

بل يقظة هنيئة . . . إنها معى ابداً ، إنها ترنو إلى بعينين من ذهب .

هى

ايها النائم . . . وعيناى انا . . . ألا تراهما ؟

هو

من انت ؟

هى

انظر إلى عينى .

هو

عيناك من نحاس .

هى

إنك لم تبصرهما ، انت لاتريد ان تبصرهما ، آه . لم صنع هذا التمثال ؟

هو

نفريت . . . رأسك اللامع بين يدى كوكب اسود

بين يدى إله ، كوكب لانهار له .

هى

ورأسى انا أيها المجنون . الا تراه .

هو

من انت ؟

هى

انظر إلى شعرى الأسود اللامع .

هو

رأسك ليل له نهار .

هى

إنى امقتك مقتاً شديداً . وابغضك أكثر مما تبغضنى ، وامقت من تحب ، وابغض هذا التمثال .

هو

نفريت ! انت لى وحدى ، انت كوكبى ، فلنسبح سويا فى بحار الفضاء تاركين خلفنا اسرتسن . . ولنبحث عن جزيرة الهناء الدائم . . تلك الجزيرة التى خلقتها الآلهة لأنفسها ثم فقدتها . . هلمى بنا نبحث عنها معاً فربما كان حظنا أوفر من حظ الآلهة .

هى

اقسم انك فى حلم ، لكننى سأوقظك . . .

نفريت . . جزيرة الهناء الدائم ليست فى محيطات الفضاء كما تزعم الآلهة . . . عبثاً تبحث عنها الآلهة فى محيطات الأثير . . جزيرة الهناء الدائم المفقودة لا يعرف مقرها غيرى . . ميلى بأذنك نحوى كى اهمس لك بمكانها اتدرين اين جزيرة الهنـاء الدائم ؟ هى ليست فى

محيطات الفضاء ، هى فى محيط . . . عينيك . .

هى

محيط عينيها . . . سأجعلك تفيق من تأثير عينيها

انظر؟ ماذا ترى بيدى؟

(تأتى بمطرقة من الحديد)

هو

لاتقربى نفريت .

هى (تحطم رأس التمثال)

انظر هذا الكوكب الأسود تمحوه المطرقة !

هو

آه . .

هى

وهذا الجسد الجميل الحار يتفتت قطعاً باردة تحت ضربات المطرقة . .

هو

آه . .

هى

والآن . . انهض واجمع اجزاء نفريت الخالدة ! :

هو (يفيق)

اين انا ؟ . . احس دوارا ، اين الرأس اللامع ؟ . .

هى

هاهى ذى تحت قدمى نفريت ورأسها اللامع . . .

وعيناها اللامعتان اللتان انامتاك طويلا . . الآن انت لى وحدى .

هو

اين انا واين كنت ؟

هى

لست ادرى اين كنت ! إنما انت الان هنا معى وقد عدت إلىّ . .

هو (ينظر إليها مليا)

ايتها العزيزة ، انا هنا معك ! اجلسى إلى جانبى .

هى

لماذا تطيل إلى النظر هكذا ؟

هو

كأن رأسك شمس سوداء ..

هى

بل ليل له نهار . .

هو

كوكب من الأبنوس . . . وعيناك كأن عينيك من ذهب . .

هى

عيناى من نحاس . .

هو

عيناك بحيرتان صافيتان يسبح فى إحداهما الحب وفى الأخرى . . . الحب !

هى

ألى هذا القول ام لنفريت ؟

هو

من نفريت ؟

هى

الا تعرفها ؟

هو

لا اعرف سواك ياعزيزتى فى الوجود . ما اجملك ! كم اود لو اتناول رأسك الأبنوسى بين يدى وارشف من فمك رحيقاً فى لون الورد . بل خمراً من عصير اللآلىء فى كأس من ورد .

هى

أرجو منك الا تخاطبنى بما كنت تخاطب به نفريت . . .

هو

من نفريت ؟ .

هى

ألم تراها ؟

هو

كلا . . . لم أر غيرك . إنى أريد أن أبحث فى محيط عينيك عن الهناء الدائم .

هى

دعنى ! إنك ترى فىّ الآن ما كنت ترى فى الأخرى .

هو

من هى الأخرى ! ليس فى الحياة غيرك أنت ، لأن الطبيعة لن تخلق سواك . وأى إله يصنع مثيلك دون أن يتهم بالتزييف !

هى

آه ! هذا ماقلته لها أيضاً ! . .

هو

لمن ؟

هى

أترى . . .

هو

ماذا ؟

هى

ترى أكنت أنا هى؟أم شبحها؟

هو

من هى ؟

هى

أشربت شيئاً ؟

هو

كلا .

هى

أتذكر أسطورة « السكير وزوجته ؟ » لقد كان يسرق حلى زوجته كى يسبغه على خليلته ، ثم يسرق حلى خليلته كى يخلعه على زوجته .

هو

ومن خليلته ؟

هى

زوجته .

عدو ابليس

« عزرائيل » وقد انصرف عن دار النبى « محمد » بعد وفاته يرى « إبليس » مقبلا عليه فرحاً مبتهجاً

إبليس — هل قبضت روحه ؟

عزرائيل — وما شأنك وهذا . أخزاك الله ؟

إبليس — نعم ، نعم . لقـــد مات . أليس هـذا صوت ابنته فاطمة تبـكى وتصيح : « أبتـاه ، أبتاه . أجاب ربًا دعاه ، يا أبتـاه ! جنـة الفردوس مأواه ! يا أبتاه إلى جبريل تنعاه ! »

عزرائيل — ومايعنيك من هذا الأمر ؟

إبليس — أو ليس هذا أيضاً صوت زوجته عائشة

فى بكاء وشهيق : « واحـــر قلباه ! وامصيبتاه ! ألأن قد انقطع عنا خبر السماء ! »

عزرائيل — أغرب عن هذا المكان !

إبليس — ثم ها هو ذا صوت نسائه كلهن يبكين : « واثكلاه ! وثكلاه ! »

عزرائيل — أغرب عن هذا المكان !

إبليس — ما أجمل هذا النهار . . . إن نفسى لتكاد تتفجر شعراً وغناء . إصغ إلى هذه الأغنية :

ذهب عـــدوى إلى الفنـــاء

اليوم عيـــدى فالى الغنـــاء

عزرائيل — صه قبحك الله وقبح صوتك !

إبليس — صوتى منـذ اليوم يستطيـع أن ينطلق حراً فى أرجاء الأرض . صوتى منـذ الآن يستطيع

أن ينفذ إلى تلك القلوب التى كانت تميل عنى لتتلقى أخبار السماء . نعم الآن قد انقطع عن الأرض خبر السماء . لقد عاد إلىّ ملك الأرض من جديد . . . وافرحتاه ! وافرحتاه !

عزرائيل — خسئت ! إن نور السماء قد نفذ إلى قلوب الناس ، فهيهات بعد اليوم أن يصغوا إلى صوتك !

إبليس — إنك لاتعرف الناس مثلما أعرفهم . إنى أعرف كيف أمر بأناملى مراً رقيقاً على أوتار قلوبهم ، فيذهلون ، وأغنى بصوتى هذا غناء شجياً فيطربون . . . إنك لاتعرف ماهى الأغانى التى أغنيها لهم أغنيهم أغانى الأرض لا أغانى السماء ! إن السماء تنير قلوبهم حقيقة . . . ولكن لأجل

قريب . لاتنس أنهم خلقوا من طين الأرض . لاشيء يهز كيانهم غير أغانى الأرض !

عزرائيل — إنهم من الارض ولكن أعينهم تتطلع إلى السماء .

إبليس — نعم ، عند مايشير لهم إليها النبى بأصبعه ، فاذا ولىّ . . . عادت رؤوسهم تنخفض نحو الأرض . إنهم كالسنبلة التى لايرفعها غير الأصبع ، فاذا تركت سقطت .

عزرائيل (كالمخاطب لنفسه) — عجباً ! ولماذا إذن رضى الله أن يقبض نبيه ؟! إن لله حكمة ، أجل ، أجل . أنسيت أيها الخاسر أن النبى إنما يأتى للتبليغ ويمضى . إنه جاء بالدين . انه يذهب ولكن الدين باق . الدين هو الأصبع الدائمة التى لاتنفعك تقيم المعوج .

لاتفرح إذن كثيرا بموت النبى . ما مات غير الجسد الزائل . أما المبادىء والتعاليم فهى قائمة فى وجه ريحك العاتية دائماً . . . ما الرسول فى الحقيقة غير الرسالة . . . والرسالة لاتموت .

ابليس — نعم ، نعم .

عزرائيل — ما بالك وجمت ! ان على وجهك الآن لعبرة تزيده قبحاً على قبحه . . .

إبليس — الرسالة والدين والتعاليم . . . هذا صحيح . . . ولكن . . . تلك أشياء لم تخفنى قط . . . فقد استطعت فيما مضى أن أنزع عنها بعض قوتها . . . ان المسيح قد بشر بالمثل الأعلى وفتح قلوب الناس لنور السماء . وذهب وقد ترك فى الارض قديسين وخلفاء ساروا على سنته فى نبذ متع الأرض

والانقطاع مترهبين فى الصوامع والبيع والصحارى ورؤوس الجبال يتأملون وجه الله وحده ، ناسين أو متناسين هذه الأرض التى من عناصرها صنعت أجسامهم . . . هنا تراءيت لهم ولمن تبعهم فى صور مختلفة تذكرهم بما نسوه وتناسوه ، وخاطبت أجسامهم بالمنطق الذى تفهمه ، وحدثت عناصر تركيبهم باللغة التى تعرفها . . . فاذا أكثر الناس يصغون إلىّ فى أمور حياتهم ومعاشهم ولا يذكرون تلك التعاليم والمبادىء السماوية إلا يوم يجدون فى أوقاتهم فراغاً للتفكير فى السماء . إنى ذكى . انى لم أرد قط فى حربى ضد المسيح أن أقتلع المسيحية من النفوس ولكنى أظهرت فى لباقة مافيها من علو شاهق لايستطيع المخلوقون من تراب وطين أن يبلغوه

ماداموا آدميين . . . فليصغوا إذن الى أغانى الجسد وأناشيد التراب والطين . . . وليطلب العلو من كان عنده فضل من فراغ ينفقه بعيداً عن الأرض والحياة . . . وبهذا أصبحت المسيحية الحق اليوم ترفاً روحياً لايقتنيه غير خاصة الخاصة ، أولئك الذين لم أستطع أن أخاطب فيهم منطق الأجساد والعناصر . . .

عزرائيل — لقد أدرك الله غرضك الأثيم فأرسل محمداً بدين لاينكر منطق الأجساد والعناصر . . . دين لايعرف الرهبنة ولا إنكار قوانين الارض . . . دين لايكره أن يصغى أتباعه الى أغانى السماء والأرض معا . . . ما وسائل حربك إذن ضد محمد والاسلام ؟

إبليس — حقا . . . تلك هى المشكلة ! لهذا كان ذلك النبى ألد عدو لى !

عزرائيل — إنه خاتم الأنبياء لأنه ضيق عليك الخناق ، وسد كل ثغرة يمكن أن تنفذ منها سمومك . . . فماذا أنت صانع ؟

ابليس — دعنى أفكر . . .

عزرائيل فكر طول الأبد . . . فلن تظفر . . .

ابليس — بل لقد فكرت وظفرت . . . الأمر بسيط : يجب على أن أطمس خصائص هذا الدين . . . انى خبرت الناس لطول لصوقى بهم وعشرتى لهم . . . ان الناس يميلون دائما إلى التشبه والتشبيه . . . هذه القرود الناطقة . . . يصعب عليها التميز والتفريق والنظر فى فلسفة الأشياء . . . غداً عندما يوارى

محمد فى التراب . . . ويصيح ذكراً وطيفاً كموسى والمسيح لن يفرق الناس بين محمد وموسى والمسيح ، بل ربما قبل ان يواروه فى الحفرة . . . انظر . . . أليس هذا عمر بن الخطاب أحد خلفائه اصغ إليه . . .

عزرائيل — إياك ان توسوس له بشىء .

إبليس — إصغ اليه . . .

(عمر بن الخطاب يقوم فى الناس صائحا)

عمر — لا اسمعن احداً يقول : ان محمداً قد مات ؛ ولكنه ارسل اليه كما أرسل إلى موسى ، فلبث عن قومه اربعين ليلة . والله انى لأرجوا ان تقطع ايدى رجال وارجلها يزعمون انه مات !

عزرائيل — عجباً ! ماهذا الذى يقول ؟ !

إبليس — ارأيت ؟ انهم قد شبهوه بموسى ولما يهيلوا عليه التراب !

عزرائيل — كذبت ! انما هى وسوسة منك !

ابليس — صه ! انظر ! هذا ايضا رجل من بين الناس يريد ان يقول شيئا ...

(ينهض أحد الناس صائحا)

احد الناس — ان رسول الله قد رفع كما رفع عيسى وليرجعن !

عزرائيل — رباه ! ماذا اسمع !

ابليس — رأيت ؟ انهم قد شبوه كذلك بعيسى ولما يدرجوه فى الأثواب !

عزرائيل — لست اصدق ما ارى وما اسمع .

ابليس — لقد قلت لك انى اعرف منك بالبشر .

عزرائيل — اللهم نورك ! كيف خفى على هؤلاء ان دينهم لم يكن تكريراً لما سبقه من اديان ! . . . اللهم انك منزه عن اللغو والتكرار !

ابليس – ما أبهج هذا النهار ؟ ألا تطربك اغنيتى

ذهب عدوى الى الفنـاء

اليوم عيدى فالى الغنـاء

عزرائيل – آه ، لو استطعت ان ابطش بك ...

ابليس – اقبض روحى ان قدرت.

عزرائيل – ليس لك روح يقبض.

ابليس – بل لى روح لاتستطيـع قبضه يداك الصغيرتان!

عزرائيل – يداى حقـاً لاتستطيعـان ، ولـكن يد رضيـع تستطيـع ... ان روحك لـيزهق فى اليوم ألوف المرات ... ان روحك لينطفىء فى قلب كل مؤمن ومؤمنة ومحسن ومحسنة وخير وخيرة ... ان روحك مارد من دخان يستطيع طفل بـكلمة طيبة أن يحبسه فى قمقم من نحاس!

ابليس — ولكنى لا أموت ولا أذهب الى الفناء . . . لأنى سلطان الارض وروح الارض . . . ولن أترك الأرض مابقيت دودة تسعى فى الارض !

عزرائيل — ابق ما شئت فى الأرض ولكنك لن تقوى على دحر أعدائك . . .

ابليس — عجبا لك ! أو لم تر كيف أنى فى لحظة استطعت أن أغير معنى الدين الذى قضى محمد حياته كلها فى تجليته واظهاره وتوضيحه . . . ألم يذكر محمد قومه فى كل وقت أنه بشر يوحى اليه . . . وأنه يحيا ويموت كبقية الناس . . . وأن دينه هو دين الحياة . . . الذى يحل للناس كل وسائل العيش الصالح على هذه الأرض . . . وما دام دينه دين الحياة والفطرة والمنطق البشرى . . . فلا ينبغى أن

يؤلهه الناس كما ألهوا المسيح ، ولا أن ينكروا إمكان موته كما فعلوا مع المسيح . . . أليس هذا معنى دينه ؟ فكيف إذن بدل الناس الآن المعنى وانقلبوا يسيرون نحو فكرة التأليه ؟ . . .

عزرائيل — إنهم لم يغيروا شيئاً . . . ولكن وقع فى نفسك شىء من كلام عمر بن الخطاب ، فهو ولا ريب قد قال ذلك خوف من الردة!

إبليس — ولماذا يخشى ارتداد الناس عن الدين بموت محمد . . . انهم إذن كانوا يعبدون محمداً !

عزرائيل — اللهم ألق نورك فى صدور الناس !

إبليس — هيهات ! إن ماتسميه « وسوستى » قد استقر الساعة فى صدور الناس . . .

عزرائيل — خسئت أيها الخاسر . . . أنظر . . . أنظر . . .

إبليس — ماذا ؟ من هذا ؟

عزرائيل — هذا أبو بكر يقوم فى الناس . . . اصغ اليه . . .

(أبو بكر ينهض فى الناس صائحا)

أبو بكر — أيها الناس . . . أما بعد ، فمن كان منكم يعبد محمداً فان محمداً قد مات . . . ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت !

عزرائيل — وفرحتاه . . . أسمعت ؟

- إبليس — ؟ ؟ ؟

عزرائيل أنظر أيضاً . . . أنظر . . . هذا العباس يريد أن يقول شيئاً . . .

(العباس يقوم فى الناس صائحا)

العباس — أيها الناس . . . والله الذى لا إله إلا هو ، لقـــد ذاق رسول الله الموت ، وإنه ليأسن كما

يأسن البشر . . . فادفنوا صاحبكم . . . إنه ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً . . . أحل الحلال وحرم الحرام . . . ونكح وطلق وحارب وسالم . . . وما كان راعى غنم يتبع بها رؤوس الجبال بأنصب ولا أدأب من رسول الله فيكم !

(عزرائيل يلتفت إلى ابليس صائحا صيحة انتصار)

عزرائيل ماذا تقول الآن فى هذا ؟ أغرب الآن عن هذا المكان . . . لقد ظهر معنى الإسلام ، وتألق روح هذا الدين . . . !

فوق السحب

حضر إلى ذات صباح مندوب إحدى الصحف ، وأخبرنى أن مكانى محجوز فى الطيارة الذاهبة إلى الاسكندرية فى اليوم الذى أختاره والساعة التى أحددها فترددت ... ولكنه أسرع يقول لى :

إن سفر الأستاذ بالطيارة له قيمته من الوجهة الصحفية !

فنظرت إليه بذهن شارد وقلت كالمخاطب لنفسى :

ـ وإذا سقطت الطيارة بالأستاذ ؟ !

فأسرع يقول دون أن يتبصر فى قوله :

– يكون أحسن وأتم . فهو كذلك خبر له قيمته من الوجه الصحفية !

فأفقت فى الحال .

– شىء جميل !

وتنبه الصحفى لزلة لسانه وارتبك وأعتذر :

– غرضى يا أستاذ ...

– غرضك ظاهر من أوله ، ...

– من يعلم ؟ ... ربما عدت إلينا بالسلامة ...

– ربما ! ؟ ؟

– قصدى أقول إنك ان شاء الله راجع بالسلامة منشرح الصدر غير نادم على المخاطرة ، وما فاز باللذة إلا الجسور :

ومضى هذا الابليس العصرى يزين إلى لا الهبوط

من السماء إلى الأرض ، بل ترك الأرض والصعود إلى السماء ! ويتحدث عن جمال الرحلة الجوية فى ذاتها بغض النظر عن المقال المطلوب . وتمت الغواية وقبلت آخر الأمر ، وانصرف عنى الصحفى راضياً ظافراً فى الحالين : مقالتى أو حياتى !!

وجلست أفكر قليلا . لقد كان على أن أسافر حقيقة إلى الاسكندرية بعد يومين لحضور عقد زواج أحد الأصدقاء . وكان على أن أصاحب « العريس » من القاهرة إلى الاسكندرية . فقلت فى نفسى :

ـ فكرة . لماذا لا أغرى « العريس » بالسفر معى فى الطيارة . . .

ولم أضع وقتاً . وذهبت من فورى إلى ذلك

الصديق السعيد فأنبأته الخبر واقترحت عليه هذا السفر فاصفر وجهه :

طيارة ؟!

وأطرق يفكر فى « حجج » يتذرع بها دفعاً لهذا البلاء ! وكأنه اهتدى إلى إحداها فقال :

ـ أنسيت أن معى حقيبة كبيرة بها « الفراك » والقمصان والمنشاة وملابس أخرى داخلية وخارجية .

ـ اطمئن لكل راكب الحق فى ١٥ كيلو زيادة على وزنه :

فقال فى لهجة العزم القاطع :

ـ مستحيل !

ـ خفت ؟!

ـ ليس الخوف . لكنى لا أرى معنى للسفر بالطيارة .

– المعنى كل المعنى فى سفرك الآن بالطيارة . فأنت ذاهب إلى عروسك التى تنتظرك . وليس أحب إلى قلبها من أن تعرف أنك ذاهب إليها طائراً من فرط الشوق . أنسيت قول ذلك الاعرابى الولهان :

أسرب القطا هل من يعير جناحه

لعلى إلى من قد هويت أطير

عذر ذلك الأعرابى واضح . أما أنت فما عذرك يامن تجد فى هذا العصر سربا من « قطا » شركة مصر ذات الأجنحة القوية والمحركات الكهربائية ؟

فلمعت عين صاحبى وأعجبته فكرة الطيران إلى عروسه . ووجد فيها شعراً وخيالا . فأذعن وقال :

– غلبتنى .

وانصرف بعد العدة . وبقيت أنا أمتع نفسى بلذة

الظفر بنجاح الاغراء . ولا أنكر أنى أحسست الاطمئنان يجرى فى دمى . فأنا أخشى دائما أن ينفرد بى « القدر » وجها لوجه . ويخيل إلى أن بيننا مبارزة خفية سلاحها السخرية الخطرة . وأعتقد أنه ينبغى لى أن أختفى دائما وراء منكبى رجل كتبت له السعادة . تلك هى « التميمة » التى تقينى شر القدر . إن من الامثال الشعبية التى أحفظها مثلا أو من به : (ضع قدمك فى « مركوب » السعيد تسعد) . هذا « العريس » رجل سعيد طيب القلب والسريرة ممتلىء الجسم صحة وقوة وإيمان بالحياة ولا أظن ساعة مثله قد حانت . ويخيل إلى أن من الناس من يشيح الموت عنهم بوجهه كما يشيح ابليس عن المصحف أو الصليب . من أجل ذلك حرصت كل الحرص أن

أكون فى ركاب هـــذا « السعيد » حتى لا يرانى القدر ولا يجرؤ على النظر الينا بسوء .

وجاء يوم السفر وذهبت إلى المطار وجعلت عيناى الزائغتان تبحثان عن « العريس » فى كل مكان ؛ ودق الجرس ووقفت الطيارة المسافرة تأخذ مؤونتها من الزيت والبنزين . وتم وزنى مع عصاى « ستين » كيلو لا أكثر ولا أقل . وطلب إلىّ مـــوظفو الشركة المبادرة بالركوب . فالتفت يميناً وشمالا . فقال لى أحدهم :

— اتنتظر احداً ؟

فأومأت بالايجاب . فقال :

— فات الوقت . ولن يأتى أحد . والطيارة قائمة فتفضل ! .

عندئذ ادركت ان العريس قد هرب . وحدثتنى نفسى ان اتخلف أنا أيضاً وأعود أدراجى . ولكن موظف المطار استعجلنى قائلا :

— من حسن حظك أنه ليس اليوم فى الطيارة غيرك .

وجذبنى من ذراعى فى رفق ومشينا حتى دنونا من السلم المدلى من باب الطيارة وليس بها أحد حقيقة . ولكن قد خيل إلى أنى أرى فيها شخصاً هو ولا شك « القدر » أو « الشيطان » فى شبه بذلة رسمية سوداء وهو يبسم لى ابتسامة صفراء . فما تمالكت وقلت للموظف فى ذعر :

انا وحدى فى الطيارة .

— نعم من حسن الحظ . فأنت كأنك قائم بطائرة خاصة

— لا . لا . أشكركم جداً . لاضرورة لقيلم طائرة خاصة من أجلى . . . هذاشرف عظيم ...

وأردت أن ابتعد عن السلم وأن أهرب من المطار .. ولكن . . فجأة ظهرت سيارة تأتى مسرعة لمحت فيها الصحفى وكان قد اخبرنى أنه ربما جاء المطار لتوديعى . ولعله فى واقع الأمر ما جاء الا ليطمئن ويرانى بعينه صاعداً فى الجو . فلم أجد مفراً . وعدت إلى السلم صاغراً وأنا ألوح له بيدى فى غير حماس رداً على تحيته الخالصة وتوديعه الحار . واجلسنى الموظف المختص فى آخر مقعد قرب الذيل وأرانى مكان القطن أضعه فى أذنى إذا ازعجنى صوت المحركات . وأرانى آنية من الورق تنفعنى إذا أصابنى دوار وقىء . وقفل على الباب . ورفع السلم وأديرت المحركات . وارتفعت وأنا اقول فى نفسى :

— إذا سقطت الطيارة فان الجرائد ستنشر الخبر تحت عنوان « ولكن الله سلم » وستزف التهانىء إذ لم يكن بالطيارة من حسن الحظ ركاب . فما أجمل هذه النهاية ! !

ولم تلبث الطائرة أن امتطت الجو وثبتت عليه ومخرت فيه ولم يعد يخيل إلى انى معلق فى فضاء . بل أن فكرة الفضاء نفسها قد ذهبت من عالم إحساسى . وقلت فى نفسى :

— عجباً . كم من الاخطاء تسبح فى اذهاننا كأنها الجراثيم . كلمة « الفضاء » واحدة منها . ليس هناك فضاء . وإن الطيارة لتسير على شىء هو اثبت مادة من الأرض تحت عجلات القطار . . . ونظرت من النافذة فاذا منظر لن أنساه . رأيت القطر المصرى

تحتى كأنه خريطة جغرافية كبيرة مصنوعة من الجبس الملون . وما أنا إلا ذبابة أو مخلوق وهمى كمخلوقات « سويفت » يركب جناح بعوضة هائمة فوق هذه الخريطة . فهذا النيل العظيم يفروعه ورياحاته ليس إلا قنوات صغيرة كقنوات الحارات فى اليوم المطير ، يلعب فيها الصبيان ويقيمون عليها السدود من الوحل والطين . وهذه المدن الصغيرة أو الكبيرة ليست إلا خلايا نحل وأعشاش عصافير ، وهذه الحقول والغيطان فهى عجب آخر : كل أرض مصر الخصبة ليست إلا سجادة « مودرن » برسومها ذات الخطوط المربعة والمثلثة والمستطيلة . وقد صبغت بالأصفر والأخضر والأسود . ألوان ثلاثة هى وحدها التى تلعب وتجرى وتتوزع فى أنحاء هذه السجادة كأنها أنغام ثلاثة فى قطعة موسيقية . . .

ولم أشعر قط أنى أتحرك . ولكنى كنت أشعر أن أحداً يحرك قليلا تحت أنظارى هذه السجادة . . هى التى تتغير فى أوضاعها وتكشف لى عن بعض حدودها ودقائقها . أما أنا فشىء ثابت ينظر من عل كأنه إله . وأمعنت النظر من الجهتين ومن النافذتين . فرأيت طرف السجادة الغربى قد تهدل على شبه رمال . . . إنها قد وضعت من غير شك فى صحراء . كما يضع الناسك سجادة الصلاة فى الخلاء .

ولم يمض قليل حتى جذبت يد خفية هذه السجادة فاذا بى لا أرى غير الصحراء تحت أنظارى ، كأنها بحر قد عبث النسيم بوجهه الصافى وأثار فيه تموجات خفيفة رقيقة لم تمسها بعد إصبع . تلك بقاع بكر من الصحراء لا يمكن أن تفاجئها غير عين الله وعين

بعض الطيور النادرة ، أنا الآن أحدها بفضل هذه الأجنحة المصنوعة من القطن والخشب !

وذهب هذا البحر الأصفر . وبدأت عينى ترى أطراف ذلك البحر الأزرق يبرق عن بعد كأنه فص فيروز فى كف الكون . وأطلقت النظر واقترب منى البحر حتى انطرح تحت أقدامى عارياً كتمثال امرأة . . . من البلور . ورأيت فيه الثغر صغيراً كأنه يضحك . . عن بضع سفن شراعية بيضاء وبخارية كألاعيب الأطفال . فعلمت أنى قد وصلت سالماً .

وهبط بى ذلك الجناح السحرى . فاذا أنا فى مطار الدخيلة وإذا الوقت الذى مضى بين القاهرة والاسكندرية لحظة كالحلم لم أفكر أثناءها فى موت ولا فى حياة . . . .

لقد كنت فى عالم لايعرف الموت والحياة : لقد كنت فوق السحب ! !

كن عدوا للمرأة

صحت فى يوم من أيام الربيع ، هب فيه على وجهى نسيم لطيف ووقعت فيه عينى على أغصان تتمايل وأزهار مفتحة تتضاحك :

— أيها الشيطان ! ياشيطان الفن ! ياسجانى وجلادى ! أطلقنى من أغلالك قليلا ! إنى أريد الحب ! إنى أريد المرأة !

فابتسم شيطانى ولم يزد على أن قال ساخراً :

— المرأة مخلوق تافه !

— كلا .

— بلى . إنها ليست جديرة بك أيها الفنان

الخلاق . إنها مخلوق تافه ، صنعت من ضلع تافه من أضلاع آدم وخرجت من الجنة وأخرجته بسبب تافه . فهى فى الحقيقه ماوجدت إلا لتحشو ثغرات الحياة ، وتسد فراغ الأيام والليالى بالأشياء التافهة .

— ولكن المرأة التى تدخلنا النعيم .

— وهى التى تخرجك منه . وقد أخرجت آدم من قبل بالفعل . فاحذر أن تقبل جنة وناراً من صنع المرأة . واحرص كل الحرص أن تكون سيد نفسك ، وأن تصنع لنفسك نعيما وجحيما لاتعرفهما المرأة . إن جنتك لاينبغى أن يكون فيها حية ولاتفاح . فهى جنة هادئة صافية : جنة الفكر والتأمل والخلق والابداع إذا دخلتها امرأة حلت فيها الفوضى ، وانفرطت عقود درها المنظوم ، وتحطمت تماثيلها

المرمرية . أما جحيمك فهو مملوء بعذاب الشك والقلق الفكرى ، وعذاب القصور عن إدراك الكمال الفنى ، آلام لاتفهمها المرأة كذلك ولايمكن أن تعترف بها . فأنت ترى أن فى نفسك « منطقة مقدسة » لا أسمح ولاينبغى أنت أن تسمح لامرأة بالدنو منها .

— ولكنى أتوق أن أعيش لحظة مع امرأة !

— تستطيع أن تعيش دائماً مع شبح امرأة . ولكن أى امرأة ؟ ! إن تلك التى سمحت لك بادخالها جنتك ينبغى أن تكون امرأة لا ككل النساء إنها النور بغير مصباح . وهى قطرات النشوة بغير خمر . هى عروس لها جسم المرأة وكل شىء جميل فى المرأة ، متدثرة فى رداء من خيالك الذهبى ، وكل ماهو جميل فى نفسك قد أسبغته أنت عليها حللا رائعة . هى

ملكة جنتك التى توحى إليك بخير ماتخرج وما تبدع . فالمرأة التى لها شأن فى حياتك هى كما ترى ينبغى أن تكون من صنع يدك ومن مخلوقات رأسك .

— إن الحقيقة أحياناً أبرع من الخيال ، وإن الحياة لقديرة أحياناً أن تقذف إلى سطحها بلؤلؤة فى شكل امرأة تسطع من بين ملايين أصدافها . فلماذا أيها الشيطان لاتسمح لى مرة بما سمحت به الآخرين ؟

— لا أستطيع أن أسمح لك ، واست أنت وحدك فلقد وجدت هذه الأسطر الدامعة فى ورقة منفصلة بين مخلفات بيتهوفن : « الحب ، ليس غير الحب ، هو وحده الذى يستطيع أن يجعل حياتى سعيدة . آه يا إلهى دعنى أجدها أخيراً ، تلك التى فى مقدورها أن تدعم فضائلى ، تلك التى قد سمح لى ان تكون زوجتى » . ومات بيتهوفن ولم يسمح له .

— لماذا ؟ .

— لانك أيها الفنان عبقرية خالقة ، وجدت لتخلق وتعطى لا لتسأل وتأخذ .

— مثل الطبيعة .

— نعم ، أنت والطبيعة سيان . كلا كما يعيش فى الحرمان . وكلا كما سر وجوده أن يعطى ولا يأخذ .

— آه ولكن الطبيعة قوية جبارة أما أنا فآدمى مسكين . إنها لاتتألم أما أنا فأتألم إذ أرى الحياة تزول من تحت قدمى ولم يسمح لى بحظ قليل من الهناء الذى يسخى به على بقية الآدميين !

— الآدميين ؟ ومن قال إنك منهم أيها الفنان عندما كتب عليك أن تضع على منكبيك رداء « العبقرية والخلق » خلع عنك فى الحال بعض خصائص الآدميين !

من الأبدية

لو كنت فى الأبدية ماذا أشاهد ؟

لطالما خطر لى هذا السؤال كلما شاهدت جنازة مارة فى الطريق . ترى لو سمع الميت مايقال خلف النعش من الكلام ، ماذا كان يصنع ؟ لو علم ان هؤلاء المشيعين لايتكلمون عنه طول الوقت . وأن فيهم من يستنزل عليه اللعنة إذا طال المشى ، ولم يبد بعد اثر المسجد الذى سيصلى عليه فيه . وان منهم من يسلى نفسه وجاره فى اثناء السير بحكايات ونوادر قد تدعو إلى الضحك والابتسام . وإن منهم من يتكلم فى عمله وتجارته وبيته

وغيطه . لو علم الميت ان كل ما خصه هو من كل هذا الكلام الذى يدور خلف خشبته لايعدو دقائق معدودات ؛ وإن كل ما انفق من وقت المشيعين فى الخشوع لجلال الموت لايتجاوز لحظات . وان الصمت الرهيب الذى كان يجب ان يحيط بنعشه لم يدم أكثر من دقيقة ، ثم بدأ الهمس يعلو ، والهمهمة ترتفع ، والكلام والثرثرة يدويان بين الصفوف فى طنين كطنين الذباب ، ذلك ان الناس غير قديرين على نسيان انفسهم والسمو عن هذه الأرض والارتفاع عن شؤون حياتهم العادية الصغيرة أكثر من خمس دقائق .

ومع ذلك ، لماذا نريد من الناس الوقوف أمام الموت موقفاً أجل من هذا ؛ إن الموت لايجل ولا يعظم حقا إلا فى نظر من يموت ، فى تلك اللحظة التى يشعر فيها المحتضر انه مفارق هذه الدار التى عرفها وعرف

أهلها إلى مكان مجهول ، فراقاً لارجعة بعده . فى تلك اللحظة يرى المحتضر الدنيا تبتعد عنه كما تبتعد المحطة عن انظار المسافر فى قطار . ويرى دموع المودعين من الأهل والخلان تتساقط على باقات الأزهار يقدمونها إليه فيخيل إليه ان ذهابه سيغير وجه الارض . ولا يعلم ان هؤلاء المودعين سينصرفون من باب المحطة إلى شئونهم ضاحكين كأن لم يحدث شيء . ترى لو رأى الميت كل ذلك فى صندوقه وأعطى القدرة على الخروج منه والنهوض . أما كان يصيح فى الناس :

— أتسمون أنفسكم مشيعين ؟ انصرفوا أيها اللكعاء !

إنى شخصياً لا أعتقد أن الميت يفعل ذلك او يقوله لو قدر عليه . إن الميت إذ يجتاز عتبة العالم

الآخر ويدخل منطقة « الصفاء » ينظر إلى الناس واحوالهم من غل كما ينظر الانسان إلى سرب من النمل يحمل جناح صرصار إلى ثقب فى أسفل الجدار . إنه يستكثر على الناس مجرد التحرك فى تابوته لينظر إلى مايفعلون . إنه يستكثر على المادحين والقادحين حتى مجرد ابتسامة سخرية تعلو شفتيه الجافتين الباهتتين .

فهذا السؤال الذى القيته على نفسى لامعنى له عند الميت . إنما هو سؤال يمليه علينا غرورنا نحن الأحياء .

على انى على كل حال لو تمنيت شيئاً بعد الموت . لرغبت فى أن اقول انا رأيى فى الناس وقد تركتهم ، قبل أن يقولوا هم عنى شيئاً وهذا مستطاع . وقد فعل ذلك فيما أعلم احد الأمريكان أو الانجليز غريبى الأطوار . إذ سجل خطبة له فى اسطوانة فنوغراف

وأوصى المشيعين أن يطلقوها على قبره تنطق بصوته وأنفاسه وضحكاته وكلماته . فماذا يمنعنى من أن أصنع مثله . وأن اقوم فى الناس خطيباً بعد موتى أقول فيهم :

« سيداتى وسادتى :

« أولا فلتجفف السيدات أعينهن حتى لايضيع كلامى بين الشهقات ، وحتى لاتضيع الدموع طلاء وجوههن وصبغة شفاههن . وهذا هو المهم . فانى مازلت حريصا على أن تكون المرأة جميلة .. فالجمال هو العذر الوحيد الذى به نغتفر للمرأة كل تفاهتها وحماقتها . عفواً . لقد نسيت أنى ميت وأنه ما كان يليق بى ان اوجه إليكن ايتها السيدات هذه الألفاظ فى مثل هذه اللحظة الرهيبة ، انتن ولا ريب تصغين إلىَّ الساعة والغيظ باد عليكن ، ولولا جلال الموت ،

لألقينّ على قبرى أحذيتكن ذات الكعب العالى ؛ إن كل ماستفعلنه الآن عقابا لى وامتهانا لشأنى هو أن تخفين فى الحال مناديل العبرات العاطرة وتخرجن أصابع الأحمر الناضرة ، وتنظرن فى مرآة الحقيبة الصغيرة وتهززن أكتافكن قائلة إحداكن للأخرى:

« والنبى الدموع فيه خسارة ! » وهذا ما أريد أن أصل إليه . وهذه نصيحتى الثمينة لكن معشر الأحياء من النساء : حذار ان تتلفن هدباً واحداً من أهدابكن الجميلة من أجل شىء على هذه الارض . فأن الأرض كلها لاتساوى هدباً واحداً من أهدابكن !

« أما أنتم أيها الرجال والاصدقاء والمعجبون ، المرتدون السواد على فقيد الادب ، المحزونون لفداحة المصاب الجلل ، الباكون لما رزئت به العربية والناطقون

بالضاد . . . إلى آخر هذا الهراء الذى سيملأ به خطباؤكم وشعراؤكم تلك المراثى البليغة والقصائد العصماء . وإنى لأسمع الساعة جيوب بعضكم منتفخة بشعر ونثر قد كتب خاصة للتأبين . ولعل أكثره قد وضع قبل الاحتضار حتى يكون معدا للالقاء فى الوقت المناسب . ولعل إحدى تلك القصائد قد نشرت اليوم فى صحف الصباح بينما نشر إلى جانبها خبر الوفاة . كأنما القصيدة العصماء قد خرجت من صدر صاحبها ساعة خروج روحى من صدرى ! لم كل هذا الاسراع ؟ ألا يترك لى الأدب وشأنى وقد صرت ترابا . أيظل يلاحقنى شيطان الفن ويصيح فى أثرى وانا افر منه إلى عالم ارجو ان لا أرى وجهه فيه . أما يكفيه أنه اضاع على حياة نابضة . انا الذى صنعه خالقه من لحم ودم ، ووضعه فى دنيا جميلة زاهرة ، وقال له : « انطلق

وعش حياتك فى هذه الحيـــاة » . فلم أفعل ذلك . ولـكنى أحلت لحمى ودمى إلى ورق ومداد . آه . . . إنكم لو أنصفتم معشر المشيعين لوضعتم جثتى مع كتبى واشعلتم النار فى كل هذا . عجباً . إنى أبصر أحدكم وهو شاب فيما أرى لايريد أن يصدق ما أقول . وإن فمه ليرتجف كأنما هو يريد أن يصرخ متحمسا : « فى ذمة الخلود . فى ذمة الخلود ! »

« أيها الصديق الصغير ليس من اللطف أن أضحك الساعة منك ومن « خلودك » . وأن أبدد تلك الأحلام التى تخيم على عشرين ربيعا من حياتك النضرة كما تخيم خمائل الأزهار على خلوة المحبين . ولكنى أقول لك إن كلمتك هذه إن صلحت لسنك وكان لها عندك أعمق المعانى . فأنها عندى الآن لامعنى لها ؛ ولست أدرى ماذا تقصد بها ! تقصد أنى قد اكون تركت لكم

بعض آثاره ربما بقيت فليكن . ماذا يهمنى أنا من ذلك ؟

« وبعدَ . . . لا أحب أن أستبقيكم وقوفا أمام قبرى اكثر من ذلك فان من بينكم من قد ارتبط بمواعيد سابقة وهو يختلس النظر فى ساعته من آن لآن . وليس عندى بعد ما أقول لكم ، غير أنى أرى فى أوائل صفوفكم أصدقاء لى لايمكن أن أستخف بعواطفى نحوهم . ولعل صداقتهم هى خير ما خرجت به من تلك الدار

« والآن ، اسمحوا لى أن أسكت سكوتى الأبدى وأنا ارجو منكم أن تنصرفوا إلى شؤونكم كأنه لم يحدث شىء فلست فى حاجة إلى كلامكم ، وإذا أردتم أن تعقبوا على قولى هذا بشىء فى دنياكم تلك ، فضعوا مكان اسطوانتى هذه : اسطوانة موسيقية لأحد الموسيقيين الذين كنت أحبهم ، تلك هى اللغة الوحيدة التى أستطيع أن أفهمها عنكم فى كل وقت . . . والوداع » .

فهرست

صفحة

عهد الشيطان ١١
فى النوم ٣٣
راديوم السعادة ٤٥
فى حانة الحياة ٦٥
حقوقى على نفسى ٧٩
مع الأميرة الغضبى ٩٣
أمام حوض المرمر ١٠٧
بين الحلم والحقيقة ١٢٧
عدو إبليس ١٤٧
فوق السحب ١٦٥
كن عدواً للمرأة ١٨١
من الأبدية ١٨٩

893.7H127
03

BOUND

NOV 26 1957

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58869883
893.7H127 O3 Ahd al-shaytan /